محمود محمد الناكوع

ملامح
الصراع السياسى والثقافى
فى ليبيا الحديثة

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

اسم الكتاب:

ملامح

الصراع السياسى والثقافى فى ليبيا الحديثة

اسم المؤلف: محمود محمد الناكوع

الطبعة: الثانية.

مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة.

٢٠٨ صفحة ١٤ × ٢٠ سم

تاريخ النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٢٤٦١٦

الترقيم الدولى I.S.B.N 977-17-4168-3

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأى وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أى نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

All rights reserved to Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب بلندن عام ٢٠٠٢ وتم توزيعه بصورة رئيسة فى بريطانيا، ولم يوزع فى العالم العربى لأن الكمية التى طبعت منه كانت محدودة ونفد جلها. ونظرا لما تشهده المنطقة العربية من تطورات نحو الانفتاح وحرية النشر ـ خاصة بعد هجمة شبكة الإنترنت القوية ـ رأيت أن أعيد طبعة الكتاب ليكون فى متناول كثير من القراء، وبقيت المادة فى أغلبها كما كانت فى الطبعة الأولى وخاصة الفصول الأساسية، بينما حذفت بعض الموضوعات الصغيرة التى ليست لها علاقة مباشرة بموضوعات الكتاب . مادة هذا الكتاب تغطى مرحلة زمنية تبلغ نحو مائة عام، أى أنه يتضمن عرضا وتحليلا لأبرز ملامح الصراع السياسى والثقافى فى ليبيا منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى نهاية القرن العشرين، وهى فترة زمنية زاخرة بالأحداث والتقلبات والصراعات الدولية والإقليمية وكذلك الصراعات فى داخل الوطن، وقد عاصرت مراحل من تلك الأحداث وخاصة مرحلة العهد الملكى (١٩٥١ / ١٩٦٩) كما عاصرت مرحلة التغيير

السياسى العسكرى فى سنواته الأولى، وتابعت تطوراته من الخارج فيما بعد، وقد تبنى العسكريون نهجا جديدا قلب موازين الحياة فى ليبيا بصورة لم يتوقعها أحد لا من السياسيين ولا من الخبراء حتى أن الأستاذ محمد حسنين هيكل كتب فصلا فى كتاب (كلام فى السياسة) جاء فيه أنه أجرى حوارا مع القذافى عن الأفكار والأزمات والناس والزمن أثناء زيارته للقاهرة فى مايو عام ١٩٩٩، وتساءل هيكل فى آخر الحوار :

كيف استطاع القذافى أن يبقى حتى الآن وظروف العصر ما أعرف، وظروف العصر ما عرف، ولم أجد غير جواب واحد لابد أنه سمع أو قرأ أو تعلم أشياء كثيرة لا أعرف كيف ولا متى ولا أين وصلت إليه أو وصل إليها، وفى كل الأحوال فإن القذافى بدايته واستمراره وتعامله مع التاريخ يظل ظاهرة تستدعى الدرس، وأظنها سوف توضع يوما فى دليل الخوارق من ظواهر النصف الثانى من القرن العشرين ص١٩٧ .

وفى كتابى هذا سيجد القارئ فصلا تحت عنوان : ليبيا ما بعد ١٩٦٩ ودوامة الصراع . وسوف يكتشف أن دوامة الصراع كانت غريبة وقاسية وعبثية ومدمرة فى كثير من الأحيان، وسوف يطرح القراء سؤالا آخر : لماذا حدث فى ليبيا ما حدث، وهى بلد صغير، وفى الوقت ذاته غنى؟ وهكذا تستمر التساؤلات مادامت الحريات مكبوته، ومادامت الديمقراطية محرمة أو مشوهة. ورغم أن علاقات ليبيا الخارجية قد تغيرت بشكل

كبير بعد صدور الطبعة الأولى، فإن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وخاصة التعليمية والصحية، وملف حقوق الإنسان وجميع الخدمات ظلت فى حالها السيئ، بل إن المشكلات فى جميع القطاعات الخدمية تراكمت بصورة جعلت أغلبية الناس فاقدة لأى أمل فى الإصلاح، وصار الملمح العام للصراع الاجتماعى والسياسى يؤكد أن الأوضاع تتجه نحو تدهور خطير لا يعلم أحد مآله ونتائجه على الحاكم والمحكوم، فالكل يشكو من الفساد والفوضى، والكل لا يرى نهاية ولا علاجا قريبا للأمراض التى تفتك بذلك المجتمع . وبسبب هذا التدهور والتخبط وغياب المسئولية وتفشى الفساد المالى والإدارى فإن حراك الصراع الثقافى والسياسى يزداد قوة لدى أوساط النخب، ومن يتابع مواقع الإنترنت الليبية فى خارج البلاد، ومن يتابع النشاط الثقافى بصورة عامة فى داخل الوطن وخارجه سيلاحظ كثافة الحوار الدائر بين قوى المجتمع وخاصة بين الموالين للسلطة والمنافقين لها وبين المعارضين للسلطة سواء من كان منهم يكتب أو يتكلم بصورة واضحة وعلنية أو من يمارسون المعارضة بأساليب أخرى تقية وخوفا أو مصانعة . وذلك الحراك الثقافى رغم صغر مساحته يظل هو العلامة الإيجابية على حيوية وإرادة الإنسان .

لا شك أن ثورة الاتصالات وما تعطيه من فرص جعلت الجميع تحت الضوء، ولم يعد من الممكن ستر فضائح وعورات أى ممارسة سياسية أو ثقافية، وكل هذه القنوات الجديدة من

الفضائيات وشبكة الإنترنت جاءت لتفتح الأبواب التى كانت مغلقة، ولتدك الأسوار التى كانت قائمة قبل عقد من الزمان . الآن أصبحت السلطة ومن فيها من صناع القرار أمام المرايا الكاشفة لكل الأخطاء وكل الممارسات، وصار وعى الجماهير يقفز بسرعة لا مثيل لها .

وكل من يمارس الكذب والدجل والتزوير والخداع ليلا يصبح وهو يواجه بفعل هذه القنوات الإعلامية ما اقترف من أعمال غير مشروعة . كل هذا الحراك المتنوع الرافض للواقع والمتطلع للأفضل، سوف يصب حتما فى صالح ثقافة التغيير، ثقافة الفكر الحر، وثقافة الخيار الديمقراطى، وهو خيار المستقبل، وفى الطبعة الثانية أضفت فصلا بعنوان : الديمقراطية ودولة القانون .

محمود محمد الناكوع

لندن مارس ٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

تعتبر مادة التاريخ من أهم مصادر البحث فى الخصائص الثقافية والاجتماعية والسياسية لأى مجتمع من المجتمعات الإنسانية، فالتاريخ هو السجل الكبير الذى نقرأ فيه تلك الخصائص الثقافية والاجتماعية، ونقرأ فيه تفاصيل حركة المجتمع وأشكال صراعاته عبر العقود والأجيال، وهو الذى يعطينا المفاتيح لمعرفة وتفسير حالات الحيوية والنهوض والارتقاء كما يعطينا المفاتيح لتفسير أسباب حالات الكسل و الانحطاط والتأخر والجمود الذى يخيم على شعب من الشعوب فى فترات معينة فيصلح هدفا سهلا للغزاة والطامعين الأجانب، كما يصبح سهل الانقياد للحكام المستبدين الظالمين... وقراءة التاريخ ضرورة فكرية وسياسية وتعليمية وخاصة لمن يريد أن يشارك فى العمل العام ويرغب فى القيام بدور ثقافى أو سياسى أو اجتماعى فى وطنه ومن أجل ذلك الوطن وسكانه . والقراءات التاريخية كثيرة الأنواع فهناك قراءة هدفها حفظ المعلومات للنجاح فى الامتحان، وقراءة أخرى من أجل الاطلاع العام لغرض محدد . . . .

لكن القراءة الأهم للتاريخ هى القراءة الواعية المتدبرة المحللة

للمعلومات، وهناك فرق كبير بين المعلومات والقدرة على تحليل المعلومات فى إطار سياقها التاريخى . . . . وكثير ما يخطأ الناس فى كتابة التاريخ أو فهم أحداث التاريخ لأنهم لا يملكون القدر الكافى من المعرفة التحليلية فتأتى كتاباتهم واستنتاجاتهم غير موضوعية وليست صحيحة . ولعل أحداث وتاريخ جهاد الشعب الليبى ضد الاحتلال الإيطالى الاستطيانى ١٩١١ - ١٩٤٣ وما حولها من كتابات متناقضة أحيانا يؤكد صعوبة التعامل مع المادة التاريخية وخاصة تاريخ الأشخاص الذين شاركوا فى صناعة تلك الأحداث التاريخية . . . .

فهناك من الكتاب من يحاول أن يضع بقلمه ومادته بعض أبطال الجهاد فى صورة مثالية وكأنهم ليسوا بشرا يعتريهم ما يعترى البشر من حالات الخطأ والصواب ومن حالات الفشل والنجاح أو حالات الضعف والقوة، وعنده أن أولئك الأبطال إذا خرجوا عن تلك الصورة الجميلة الزاهية فهم ليسوا من المجاهدين وليسوا من أبطال الوطن . . . وفى هذا الإطار حاول البعض أن يفهم تاريخ هؤلاء الأبطال بعين لاترى إلا اللون الأبيض أو اللون الأسود أما الألوان الأخرى فلا مكان لها عندهم . . وهم بهذه النظرة يعتقدون أن البطل والمجاهد الحقيقى هو الذى لم يتعامل مع المستعمر الإيطالى بصورة مطلقة فلم يفاوضه ولم يهادنه ولم يقبل منه فى حالات الهدنة والمصالحة الأموال . . . . بينما حقائق التاريخ تؤكد أن كل قيادات الجهاد والمقاومة التى قامت بأدوار سياسية وعسكرية وقد جلست مع الإيطاليين وتفاوضت معهم

منذ السنوات الأولى للغزو الإيطالى :(اتفاقية الزويتينة ١٩١٧ صلح بنيادم ١٩١٩ اتفاقية الرجمة ١٩٢٠ وغير ذلك من المفاوضات والاتفاقيات التى لم تنجح فى وضع نهاية للاستعمار الإيطالى) وكثير من هؤلاء القادة تسلموا أموالا من السلطات الإيطالية التى كانت تحكم البلاد بقوة الحديد والنار، بل إن بعضهم شارك مضطرا فى الاستقبالات والاحتفالات التى خصصت لموسلينى عندما زار البلاد عام ١٩٣٧ ومنهم من كتب قصائد المديح وأشاد بزعماء إيطاليا ومنهم من سلمه سيف الإسلام.

وفى هذا السياق كتب الدكتور محمد محمد المفتى بحثا قيما عن المادة التاريخية التى نشرت فى مجلة (ليبيا المصورة) فى أعدادها الصادرة ما بين /١٩٣٥ ١٩٤٠ ونشرت البحث فى مجلة (الفصول الأربعة) العدد ٩١ الصادرة بتاريخ أبريل ٢٠٠٠ وجاء البحث جريئا ومؤكدا للواقع البشرى الذى يعكس حقيقة تلك المرحلة بألوانها المتعددة بما فى ذلك مالا نحب أحيانا أن نذكره من ضعف أو تنازلات من بعض وجوه الوطن . . . .

وأغلب من قاموا بهذه التنازلات ما زلنا نعتبرهم من قادة الجهاد والمقاومة وبعضهم شاركوا فى بناء دولة الاستقلال ولا يقلل من جهادهم ودورهم ما فعلوه مجبرين مضطرين فى مراحل زمنية معينة اشتد فيها هول الحرب وضاقت عليهم سبل الكفاح والنجاة . . .

وليس من الإنصاف ولا من الموضوعية أن تساق التهم إلى بعض هؤلاء الأبطال وأن يوصفوا بالانحياز للمستعمر الإيطالى

ويقال عنهم أنهم (تتطلينوا) لمجرد أنهم هادنوا الإيطاليين فى بعض الأوقات تحت ظروف قاسية كما فعل رمضان السويحلى قبل معركة القرضابية وفى مناسبات أخرى وهو الذى كان مناورا بارعا يظهر مواقف ويضمر مواقف أخرى متناقضة وقد سار على هذا النهج العدد الأكبر من أبطال وقادة تلك المرحلة التاريخية ومنهم: الهادى كعبار . . أحمد الشتيوى. أحمد المريض . محمد الفقيه حسن . سليمان البارونى . محمد إدريس المهدى السنوسى . على الشنطة . محمد فكينى . خليفة بن عسكر الشيخ محمد أبو الإسعاد . الشيخ عبد الحميد الديبانى وغيرهم كثير....

أما الذين أساءوا إلى أنفسهم وانحازوا إلى الإيطاليين باختيار وإخلاص ونفذوا سياسات المستعمر بجدية وبعنف واستمروا فى ذلك لفترات طويلة فلا مكان لهم فى الصفحات المشرفة والمشرقة من تاريخ الجهاد والمجاهدين وهم قلة وبقيت صفحاتهم شديدة السواد من الصعب أن يدافع عنهم أى محام وإن كان من محامى الشيطان كما يقال . . .

ومن يقرأ كتب الشيخ الطاهر الزاوى : جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب. جهاد الليبيين فى ديار الهجرة. عمر المختار. ومن يقرأ أعداد مجلة ليبيا المصورة. إضافة إلى ما كتبه الإيطاليون وإلى كتب أخرى وإضافة إلى ما دونه الشعر الشعبى يستطيع بزاد معرفى تحليلى أن يفرق بين نوعين من الرجال، نوع جاهد بنفسه وماله وأهله واضطر أحيانا للمصانعة والمهادنة والصلح مع

الإيطاليين على سبيل المناورة ولكنة ظل دائماً ينظر إلى المستقبل بعين الرجاء والأمل تواقا إلى لحظة الانتصار على المستعمر. والنوع الثانى وهم قلة من الرجال أعطوا ولاءهم الكامل لذلك المستعمر وصاروا يتمنون استمرار وجوده وبقائه مستعمرا وهم مجرد خدم له لأن مصالحهم الذاتية الصغيرة أصبحت مرتبطة ارتباطا وثيقا ببقاء واستمرار ذلك المستعمر... ومن يرغب فى معرفتهم والبحث عنهم فليس ذلك من الأمور الصعبة فالتاريخ دون أسماءهم لتكون عبرة لمن تهمه العبر ويهمه البحث فى هذا الشأن...

إن وضع الأمور والأحداث فى سياقها التاريخى العام هو الذى يعطيها الصورة المناسبة والصحيحة أما انتزاع تلك الأحداث من ذلك السياق والحكم عليها مجردة من ملابسات ما حولها حين وقوعها فهو أسلوب لا يخدم الدارس للتاريخ بل إنه يضلله ويضلل كل من يمشى فى ذلك الطريق...

ومن يحاول أن ينظر إلى أولئك الأبطال نظرة مثالية تجعلهم بعيدين عن كل عيب وكل نقيصة وترسم لهم صورة ناصعة وسيرة كاملة من الشجاعة والكرم والصدق والوفاء وفى كل الأوقات وفى كل الأحوال، فإنه يقع فى خطأ المبالغة والتزكية التى لا وجود لها فى عالم الواقع، وإذا حدثت فإنها تقع فى دائرة الفرادة وتحظى بإجماع أو بشبه إجماع كما هو الحال فى تاريخ وسيرة ومواقف قلة من المجاهدين يأتى على رأسهم شيخ الشهداء عمر المختار الذى كان قد تربى تربية دينية وكان ورعا متقشفا،

وفاوض الإيطاليين بروح عالية من الإيمان والشعور بالاعتزاز منطلقا من قناعات راسخة بأنه يدافع عن أهله ودينه ووطنه وأن الإيطالى جاء غازيا ومعتديا على حقوق الليبيين ورفض إعطاء أى تنازلات له، وسجل استشهاده على أعواد مشانق الإيطاليين (فى سلوق ١٩٣١) وهو فى سن الشيخوخة قمة ملحمته التى جعلت منه أسطورة تاريخية ورمزية لشعب قدم من التضحيات ما يقدر بمئات الآلاف من الشهداء من الرجال والنساء والأطفال وفى ظروف قاسية بسبب سيطرة الاستعمار الأوربى على كل بلدان الجوار العربى والأفريقى إضافة إلى الجفاف والفقر والأمراض والأمية والتفكك الداخلى الذى أفرزته ثقافة القبيلة وعقلية القبيلة وما تجسده من تنافر وسلبيات وصلت إلى درجة الاقتتال والحروب الأهلية فى بعض الأوقات...

وللتاريخ وأحداثه نبض خاص وإشراقات لا موت ولا غروب لها نحس بها ونتفاعل معها عندما نقرأ سيرة ومواقف بعض الرجال الأفذاذ الذين مارسوا الكفاح ضد الإيطاليين بروح وعقل الفارس لا بعقل ورؤية السياسى. من أمثال عمر المختار، ومحمد عبد الله البوسيفى، وسالم بن عبد النبى الناكوع بطل تحرير قلعة القارة بسبها عام ١٩١٤، ويوسف بورحيل، والفضيل بوعمر، وخليفة بن عسكر وغيرهم من أمثلة الأبطال الفرسان...

وخلال مراحل الجهاد العسكرى والسياسى الذى امتد من ١٩١١ إلى ١٩٥٢ عرفت ليبيا الحديثة صراعا مريرا بين قوى

المجتمع الليبى وبين قوى الاستعمار الإيطالى ثم البريطانى والفرنسى.

وتميز ذلك الصراع بالدفاع عن حرية الإنسان وهويته وانتمائه العربى الإسلامى حيث اللغة والدين أهم أركان تلك الهوية وقد انتهى ذلك الصراع لصالح الشعب الليبى عندما تحقق الاستقلال بعد نحو نصف قرن من الكفاح ومن التضحيات الكبيرة.

أما على مسرح الصراع الداخلى فإن المجتمع الليبى الذى تسيطر فيه ثقافة القبيلة وعقلية شيخ القبيلة فقد احتدم فيه الصراع ليصل إلى درجة الاقتتال والحروب الأهلية فى بعض المناطق، وتنافرت فيه الآراء والاتجهات السياسية بين ما هو جهوى وبين ما هو وطنى وحدوى. وفى مرحلة تالية تباينت فيه الاجتهادات بشأن الدستور وشكل الدولة واقتسام الامتيازات بين الولايات والحكومات الاتحادية، ومن إيجابيات ذلك الصراع أنه لم يتجاوز حدوده السياسية السلمية، واستطاع رجاله فى مرحلة الإعداد للاستقلال الاتفاق على صيغ توفيقية انتهت بهم إلى تتويج صراع الهوية والتحرير بالاستقلال والتفاهم على شكل الدولة، وحصص التمثيل فى مجلسى النواب والشيوخ، وغير ذلك من الموضوعات السياسية.

وفى مرحلة الاستقلال نقرأ صفحات أخرى من الصراع السياسى الوطنى، وقد تجاوزت صفحات ذلك الصراع الخطوط

الحمراء فى بعض الأحيان وتمثل ذلك فى إبعاد بشير السعدواى فى بداية الاستقلال ونفيه خارج الوطن رغم أنه كان يتزعم أكبر حزب سياسى هو (المؤتمر الوطنى) وتمثل ذلك أيضا فى اغتيال ناظر الخاصة الملكية إبراهيم الشلحى على أيدى شاب من الأسرة السنوسية، كما تمثل فى حرمان أحد أعلام ليبيا من العودة والاستقرار فى وطنه وهو الشيخ الطاهر الزاوى... ورغم هذه الأخطاء فإن الصراع السياسى الثقافى فى العهد الملكى ظل صراعا سلميا ولم تعرف تلك المرحلة السجون السياسية إلا فى حالات محدودة ولم تعرف تلك المرحلة العنف السياسى بكل أشكاله، وانحصر الصراع الأخطر بين فكر تقليدى سطحى عجز عن فهم ومواكبة التطورات الثقافية والسياسية الجارية فى المنطقة العربية وبين فكر جديد عبر إلى ليبيا من الشرق العربى من مصر والعراق وسورية ولبنان. ومن حسنات النظام الملكى إمكانية تحديد وعد الأخطاء والسلبيات التى وقعت ما بين ١٩٥٢/١٩٦٩ .

وفى عام ١٩٦٩ حسم ذلك الصراع لصالح ظاهرة الانقلابات العسكرية التى انطلقت من المشرق العربى وأصبحت الجيوش العربية أداة للتغيير فى مجتمعات لم تعرف الحكم الديمقراطى الذى يرسخ التداول السلمى على السلطة – وهى أسوأ ظاهرة سياسية أفرزها الفكر السياسى القومى – وسقط ذلك النظام الملكى بطريقة سهلة فتحت الأبواب أمام حكم العسكريين ودخل كل المجتمع الليبى فى صراعات سياسية وثقافية من نوع جديد لم

يكن يتوقعها أحد من الليبيين... وهذا الصراع القائم منذ عام ١٩٦٠ والمستمر حتى الآن هو صراع سياسى ثقافى بكل ما تحمل الكلمتان من دلالات وظلال وأبعاد، هو صراع بين الوهم والحقيقة.. بين التعلق بالشعارات والطموحات الشخصية وبين طموحات شعبية تريد العمل المدروس للنهوض بالبلاد فى جميع المجالات.. هو صراع بين ما يريده حفنة من المتسلطين وبين ما يريده الشعب من حقوق سياسية واقتصادية وتعليمية... هو صراع بين قلة تستأثر بالسلطة وبالمال وبين كثرة تبحث عن حقوقها فى العلاج الصحى الجيد، والتعليم المتقدم، والسكن اللائق والدخل المناسب والحياة الإنسانية الكريمة... وكان هذا الصراع وما زال كبير التكاليف، ودار وما زال يدار بطرق بدائية وبدوية – وعبثية أحيانا – وأدى هذا الصراع إلى خسائر فادحة فى كل الاتجاهات، بل تبدو نتائج ذلك الصراع قاسية ومفرطة القسوة بحيث يصعب إخضاعها لمعايير وقوانين الصراع الوطنى، وبين قوى وتيارات تنتسب لذات الوطن وذات الثقافة. وبلغ عنف السلطة درجة فاقت كل التصورات وأذهلت كل المحللين والمراقبين فهذا المجتمع الصغير لم يكن يتوقع أو يتخيل أن يرى المشانق تنصب فى الساحات العامة وتتدلى منها رؤوس الشباب والرجال فى مشاهد مروعة، ولم يكن يتوقع أن يلاحق رجاله ويغتالون فى عواصم العالم، ولم يكن يتخيل أن تقدم السلطات على قتل مئات الشباب بالرصاص فى مذبحة جماعية أصبحت تعرف فى

أدبيات المعارضة وفى ملفات حقوق الإنسان (بمذبحة سجن بوسليم) وكان هؤلاء الرجال قيد الاعتقال فى سجون السلطة ولم يحاكموا ولم توجه لهم أى تهم أمام القضاء، ولم يتخيل هذا الشعب أن تنفذ أحكام الإعدام وتزهق الأرواح بكل استخفاف بالقوانين والقضاء والمحاكم وإذا وجدت فهى محاكم خاصة وأحكامها مسبقة.... وسجلت صفحات الصراع فى هذه المرحلة اختفاء شخصيات علمية وفكرية وسياسية اختفاء قسريا ولم تكشف السلطات الرسمية عن مصيرهم من أمثال الشيخ محمد البشتى والدكتور عمرو خليفة النامى ومنصور رشيد الكيخيا وجميعهم لم يمارسوا أى عمل مسلح يبرر اختفاؤهم... وقد تراكمت أخطاء القيادة السياسية والسلطات الحاكمة حتى فقد الشعب الثقة فى المسئولين عن تلك الأخطاء، وأصبحت الهوة واسعة بين الحاكم المحكوم... ولابد من الإشارة إلى أن الدين الإسلامى ظل فى قلب كل هذه الأحداث وتلك الصراعات باعتباره المكون الأساسى لثقافة الشعب الليبى وظل المحرك الأكثر قوة وفاعلية فى تغذية الصراع ضد الغزاة والمستبدين... لكن فهم الإسلام لم يكن دائما فهما جيدا وواعيا وقاصدا، فوقعت أخطاء ومواجهات وصراعات تجاوزت المألوف من جانب السلطة ولجانها الثورية وكذلك من جانب بعض الجماعات الإسلامية وخاصة فيما يتعلق بفهم مقاصد الإسلام فى مسألة استخدام القوة ومتى يكون ذلك مشروعا.. هكذا وجد الليبيون أنفسهم خلال صراع جيل

الأحفاد جيل النصف الثانى من القرن العشرين يتحركون فى حقول من الألغام دون خبير أو دليل.

وكشف هذا الصراع الطويل عن أخطاء وبدائية لدى قوى المعارضة بصورة عامة، والتى دخلت غابة الصراع السياسى دون أنياب ودون مخالب بل أحيانا دون الحد الأدنى من الثقافة السياسية، ما زاد من تعقيدات الصراع فى هذه المرحلة من تاريخ ليبيا. والحديث عن أخطاء المعارضة ضرورة لإيجاد ثقافة نقدية ولإزاحة ثقل وأعباء السكوت على تلك الأخطاء... وما يمارسه بعض الحكام العرب ومنهم حكام ليبيا فى عدم الحديث عن أخطائهم يجب ألا يكون من تقاليد وأخلاق المعارضة...

وفى مادة هذا الكتاب حاولت أن أبرز ملامح هذا الصراع السياسى الثقافى المتواصل نحو مائة عام وأن أعطى الاهتمام الأكبر للأفكار والأفعال... وأن أذكر الإيجابيات دون تجاهل السلبيات... وأن أقف عند حالات النبض والإرادة والقوة فى تاريخ الشعب الليبى - وهو فى عمومه شعب بدوى تحكمه ثقافة وعقلية قبلية - حاولت أن أضع بعض الأسماء فى مكانها المتقدم لتبقى أمثلة ناصعة على طريق الصراع، ورأيت أن أسجل بعض الأحداث والمواقف المهمة عبر هذا الصراع الطويل.

وهذه المادة فى مجموعها تشكل ملامح عامة لذلك الصراع المتواصل والذى هو سنة من سنن الكون والحياة، وهى ليست مادة توثيقية وليست إضافة لقدر من المعلومات التاريخية ولكنها

محاولة لقراءة نقدية للتاريخ وأحداثه كما أنها محاولت لتفسير جوانب من تلك الأحداث ومن تلك الصراعات، وهدفى وأملى أن يكتب لكلماتى هذه الاستقبال الواعى وأن تضيف إلى قارئها شيئا يخاطب عقله أولا ووجدانه ثانيا لأن قضايا الصراع السياسى الثقافى تتطلب استحضار العقل لا العاطفة وهو ما يجعل صراع الإنسان فى الحياة صراعا إيجابيا ومثمرا ونافعا وقاصدا الآن وفى المستقبل.

إن قراءة واعية للتاريخ فى أبعاده الوطنية والعربية والدولية يمكن أن تعطى الصراع السياسى والثقافى طعما خاصا وميزة خاصة، ويمكن أن تفتح تلك القراءة الواعية آفاقا أوسع وأنضج للتعامل مع مشكلات السلطة وما تنطوى عليه من تعقيدات يعجز العقل البدوى القبلى فى كثير من الأحيان عن فهم أسرارها فيظل يخبط خبط العشواء ويحطم كل من حوله وما حوله طمعا فى ترويض الجميع لسلطانه، وطمعا فى بناء مجد شخصى بينما الترويض الحقيقى وبناء المجد الشخصى يأتى بتطبيق العدل وإقامة شروطه بين كل الناس ومن أجلهم وبمشاركتهم العملية، والطريق إلى دولة العدل والأمن والرفاه طريق طويل وشاق، وبعض زاده الوعى بحقائق وقوانين التاريخ. إن نداء القراءة الواعية لتاريخنا الحديث يدعونا إلى مراجعة قائمة الأخطاء والاعتراف بتلك الأخطاء ثم الانطلاق نحو التصحيح من جميع أطراف الصراع،

ذلك هو الخيار الأمثل لكنه ليس دائما هو الخيار الممكن. ولسنن الحياة والتاريخ أفعالها وأسرارها واتجاهاتها رغم كل ما نريده وما نتمناه.

من خلال هذا الفهم للتاريخ وأحداثه هدفت من مقالات كتبتها ومن محاضرات ألقيتها ومن حوارات ومن مناقشات شاركت فيها في لندن وفي مناطق أخرى – أن أطرح هذا الفهم للتعامل مع مادة التاريخ ورجالات ذلك التاريخ وللتعامل مع الأحداث والصراعات والتطورات العصرية والجارية الآن في وطننا ومن حولنا.

وفي هذا الكتاب الذي بين يديك جمعت تلك المقالات وتلك المحاضرات بعد مراجعتها والإضافة إليها ولعل القارئ يجد فيها شيئا مفيدا يقابله مع معلوماته وثقافته التاريخية والنقدية ويأخذ منها ما يشاء ويترك ما يشاء... أما بالنسبة لي فإني اعتبرها صفحات وفاء وانتماء لوطني وأهلي وجذوري، وهي العمق الذي يستمد منه المناضلون عادة بعض قيم النضال والتضحية والثبات على تلك القيم الكبيرة التي يجسدها ذلك التاريخ في جوانبه المشرقة وهي قيم: الحرية. الكرامة. العزة. الشجاعة. الصبر. التفاؤل.

وهي مقالات ومحاضرات كلها تدور حول نواة الوطن، أحداثه، رجاله، ثقافته، شعبه، واقعه، آلامه وتطلعاته.

ورغم كل صور المحن والأحزان التى عرفها شعبنا، ورغم كل الأخطار والكوارث التى ما زالت تعيق نموه وتقدمه فإن الكاتب لا يملك إلا أن يظل شديد الإيمان بنور وبدور الكلمة ورسالة الكتاب الذى يبقى كما قال عنه عملاق الشعر العربى المتنبى: **(وخير جليس فى الزمان كتاب)**. ومن هذه القناعة يصدر هذا الكتاب ليكون امتدادا لأعمال سابقة كتبت ونشرت فى لندن، واخترت أن يحمل هذا الكتاب عنوان «ملامح الصراع السياسى الثقافى فى ليبيا الحديثة»، لأن حياة الليبيين وعبر قرن من الزمان ظلت فى سلسلة من الصراعات والابتلاءات المتواصلة، ولم يذوقوا طعم الراحة والهناء إلا فى سنوات قليلة من القرن العشرين.

محمود محمد الناكوع

لندن نوفمبر ٢٠٠٢

الفصل الأول

صراع الهوية والتحرير من بومليانة إلى سلوق

(١٩١١ - ١٩٣١)

كفاح الشعب الليبى سياسيا وعسكريا من أواخر العهد العثمانى إلى إعلان الاستقلال

التاريخ هو مخزن التجارب الإنسانية والحضارية وهو الوعاء الكبير الذى لا غنى عنه لكل باحث عن العبر ولكل راغب فى اكتشاف جذوره وعمقها التاريخى، وهو السجل الحافل بكل أشكال الصراعات الإنسانية ومنها الصراع السياسى والثقافى. وعندما نقرأ التاريخ لا يجب أن نعيش فيه وأن نفكر فى شئونه وكأننا لم نتجاوز عصوره العابرة. ولا يجب أن نحاكم من صنعوا ذلك التاريخ لندين بعضهم أو لننحاز مع هذا الطرف أو ذاك أو مع هذه الجهة أو تلك (فتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) بل إن ما نطمح إليه فى كل ما نقرأه من أحداث التاريخ هو العبرة وما أكثر عبر ودروس التاريخ وفى القرآن الكريم إشارات واضحة إلى أهمية وقيمة عبر التاريخ. يقول سبحانه وتعالى فى سورة يوسف: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [يوسف: ١١١] وهناك آيات أخرى كثيرة تحثنا على السير فى رحاب الكون وعلى النظر إلى الأمم السابقة وفى

تاريخها وما مر بها من حوادث الزمان والمكان ببصيرة التذكر والاعتبار.

ورحلتنا فى هذه المسيرة مع كفاح الأجداد والآباء ستستمر لأكثر من نصف قرن من الزمان، سننطلق من أواخر القرن التاسع عشر لنتوقف عند نهاية معركة التحرير الكبرى ونتائجها وسوف نتناول الأوضاع والظروف الخاصة والعامة التى سبقت مرحلة الاستقلال ثم الدخول إلى مرحلة التحضير للاستقلال وبناء دولة ليبيا الحديثة وسوف تبرز الأسماء والبطولات الكبيرة التى خلدها صانعو تاريخ الوطن عبر صراعات عسكرية وسياسية وثقافية، ذلك الوطن الذى يرحل معنا أينما رحلنا ويسكن فى عقولنا ووجداناتنا ومن عبق تاريخه وملامحه تكبر فى نفوسنا معانى الكفاح والصبر والتضحية، والاستمرار فى خوض معارك الصراع السياسى والثقافى.

الوطن ليس بجغرافيته وليس بترابه وشجره وحجره ومياهه وعلمه فقط، الوطن قبل كل ذلك هو الأهل والحرية والعدل والكرامة والأمن، الوطن هو كل القيم الإنسانية النبيلة هو الفكر والثقافة والتاريخ، ولا معنى لوطن لا يكون للجميع ولا يحتضن الجميع ولا يعدل بين الجميع ولا قيمة لوطن لا تكون كل خيراته وكل إنجازاته من أجل الجميع. ومن لا يعرف حقيقة الصراع الذى خاضه الأجداد والآباء فى النصف الأول من القرن العشرين لا يمكنه أن يدرك قيمة الاستقلال وقيمة الحرية وقيمة

الانتماء إلى وطن له معالمه الكبيرة ولشعبه رصيده من البذل والتضحية والفداء. ومن المهم أن يعرف الليبيون بصورة عامة والجيل الجديد بصورة خاصة أهم الحلقات التاريخية وأهم التطورات والعلاقات والثقافات والسياسات التى شكلت ولونت الحياة فى المجتمع الليبى. وإحدى تلك الحلقات أن ليبيا ظلت تابعة لدولة الخلافة العثمانية تحكم من إسطنبول بولاة من الأتراك يحملون لقب الباشا ويتصرفون فى البلاد وسكانها كما يشاءون لأكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن.

ومن الحقائق التاريخية أن قوات البحرية العثمانية جاءت إلى ليبيا بناء على طلب من سكان البلاد لحمايتهم من غزوات الفرنجة ومن فرسان القديس يوحنا بالذات ولذلك لا نقبل فى ليبيا وربما فى كل شمال أفريقيا وصف الوجود العثمانى التركى بالاستعمار. وكان أستاذنا فى مادة التاريخ فى الجامعة الليبية المرحوم مصطفى بعيو – فى أوائل الستينيات – يدافع عن هذا الرأى بقوة ولا يقبل ما يتردد فى الشرق العربى من وصف الوجود التركى بأنه وجود استعمارى، لكى لا يعنى ذلك قبول ممارسات الأتراك الظالمة وما اتسمت به من اعتداءات وفساد والذى كان مظهرا عاما تفشى فى جميع ولايات الدولة العثمانية والتى أصبحت مع إطلاله القرن العشرين فى أسوأ حالات الضعف والتفكك حتى أطلق عليها الغرب الأوربى اسم (الرجل المريض) أو هكذا كان يريد أن يراها لكى ينقض عليها. وكان الليبيون فى تلك المرحلة على اتصال

مباشر بما كان يجرى من أحداث وتطورات فى العالم الإسلامى وخاصة البلدان المجاورة لليبيا مثل مصر وتونس وكانت المعاناة واحدة وهى معاناة التخلف والانحطاط وهى حالات عامة كانت تخيم على كل العالم الإسلامى بدرجات متفاوتة، ويحدثنا الشيخ الطاهر الزاوى أحد أعلام المؤرخين الليبيين المعاصرين لأحداث القرن العشرين عن ضيق الشعب الليبى بممارسات الحكام الأتراك فيقول:

«منذ ثلاثمائة سنة والليبيون فى صراع مرير مع الترك للتخلص من ظلمهم واستبدادهم وفساد حكمهم. وقد ثار عليهم الليبيون أكثر من ثلاثين مرة فى فترات من الزمن متتابعة قام بها رؤساء القبائل فى كل من طرابلس وبرقة، وما كان السكوت عن الثورة فى بعض الأحيان إلا انتظارا للفرص والظروف المواتية. واستمر الترك فى حكمهم الفاسد، فوضى فى الحكم وسلب للأموال بالضرائب الفادحة. وعدم اهتمام بالإصلاح ففشى فى الشعب الجهل لعدم المدارس. وتمكن فيه الفقر لقلة التجارة والزراعة وانعدمت الصناعة. وكثرت فيه الأمراض لقلة الأطباء، وأصبح فى حالة دونها كل ما يتصوره الإنسان من حالات البؤس... (من كتابه جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب).

وردا على هذا الواقع ظهر نشاط معارض للسياسة التركية فى داخل الولاية وفى خارجها وقد وصف سليمان الباروني فى مقالة له فى صحيفته «أسد الإسلام» التى أسسها بالقاهرة الحال فى ولاية طرابلس بأنها كانت:

« خامدة النفوس ميتة الهمم لا حراك لها يجول فى عامرها فارس الجهل ويمرح فى خلائها جواد النهب والقلاقل لا يرى أهلها للعلم فضلا ولا للمعارف شانا ولا للوطن عزا ولا للأبناء حقا ».

هذا الكلام يصدر عن رجل رفيع الثقافة وكثير الحركة والنشاط وكان معاصرا للعقود الأخيرة من انهيار الدولة العثمانية وله مواقف انتهت به إلى السجن ثم إلى الخروج من الولاية إلى مصر عام ١٩٠٧ ومنها أصدر جريدته « أسد الإسلام »، وفى مصر أسس البارونى مطبعة وبدأ نشاطه العلمى والأدبى وبدأها بنشر كتاب « الأزهار الإباضية ». تركزت كتابات البارونى فى جريدته تلك على واقع العالم الإسلامى وما يعانيه من تأخر وتبنى فكرة الجامعة الإسلامية التى اقترنت فى ذلك الوقت بفكرة اليقظة.

ويذهب الدكتور أحمد صدقى الدجانى فى كتابه (**ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالى**): أن ليبيا تعرضت لتفاقم الخطر الأوربى عليها بعد احتلال تونس ومصر وأن الدولة العثمانية حاولت وهى فى صحوة الموت الوقوف فى وجه هذا الخطر، ولكنها كانت أعجز من أن تصده، وأن أهل البلاد استشعروا هاتين الحقيقتين فبرز فيهم نضال شعبى أخذ يشق مجراه، وتهيأ لحمل المسؤلية كاملة حين بدأ الغزو الإيطالى وانسحبت الدولة العثمانية من المعركة . .) وأثناء حكم الأتراك لم تسلم الحركة السنوسية من ظلمهم وملاحقتهم حتى اضطرت إلى الانسحاب إلى أقاصى الجنوب إلى الكفرة ويفسر عدد من المؤرخين انتقال مركز الحركة

السنوسية من الجغبوب إلى الكفرة بانه كان هروبا من جواسيس الأتراك الذين يبحثون عن السلاح والذخيرة فى الزوايا السنوسية .

وهنا نتوقف عند خصائص الحركة السنوسية ومنها الخاصية العسكرية والعمرانية، يحدثنا شكيب أرسلان نقلا عن السيد أحمد الشريف أن عمه السيد المهدى كان عنده خمسون بندقية خاصة به . كان يتعاهدها بالمسح والتنظيف بيده لايرضى أن يمسحها له أحد من أتباعه المعدودين بالمئات قصدا وعمدا ليقتدى به الناس ويحتفلوا بامر الجهاد وعدته وعتاده . وكان نهار الجمعة خاصا بالتمرينات الحربية وكان يوم الخميس مخصصا عندهم للأعمال اليدوية فيتركون فى ذلك اليوم الدروس كلها ويشتغلون بانواع المهن من بناء ونجارة وحدادة ونساجة وغير ذلك لا تجد منهم فى ذلك اليوم إلا عاملا بيده ومنهم السيد المهدى نفسه يعمل بيده . وكانت كل زاوية من زواياهم محاطة بالبساتين فلا تجد زاوية إلا لها بستان أو بستانان . وقد أدخلوا فى الكفرة والجغبوب زراعات وأغراسا لم يكن لأحد هناك عهد بها .

وهكذا كانت المدرسة السنوسية الإسلامية مدرسة للعلم والعمل للدين والدنيا . وعلى عادة ونهج عمه، سجل السيد أحمد الشريف تاريخا حافلا بالأعمال العلمية والسياسية والعسكرية وتعكس سيرته عندما تولى قيادة الحركة السنوسية بعد وفاة عمه المهدى أنه كان أكثر القيادات السنوسية إيمانا

بالعمل العسكرى فقاتل الإنجليز إلى جانب الأتراك وقاتل الإيطاليين لكن الزحف الأوروبى متمثلا فى بريطانيا وفرنسا وإيطاليا كان أكبر من قدراته وأكبر من قدرات بقايا القوات التركية فانتهى به الأمر إلى تسليم القيادة إلى الوريث الأصلى لقيادة السنوسية وهو إدريس المهدى السنوسى الذى كان يميل إلى مهادنة الإنجليز والإيطاليين مراهنا على الجواد البريطانى فيما بعد وقد فاز ذلك الجواد فى الحرب العالمية الثانية .

فى تلك الأجواء وأثناء تلك التطورات تجمعت أسباب الضيق والنفور من الأتراك وأعمالهم المشينة والتى كانت مشجعة للإيطاليين وقد بثوا جواسيسهم لمعرفة مواقع الضعف لدى سكان البلاد ومنها تذمرهم وشكواهم من مظالم الأتراك . وبحلول العقد الأخير من القرن التاسع عشر كان رئيس الحكومة الإيطالية جوليتى قد أعطى اهتماما خاصا للتغلغل الإيطالى فى طرابلس ووضع خطة سياسية وعسكرية ومالية لتحقيق ذلك التغلغل ومن الخطوات التى اتخذها إرسال الجواسيس لدراسة الأوضاع فى طرابلس وأشار فى مذكراته أنه أعطى تعليماته بضرورة الاستفادة من الخصومات والخلافات السياسية ومن تذمر الزعماء المحليين من السلطات التركية . وواصل جوليتى خططه لغزو البلاد بكل حماس حتى أقدم على تقديم إنذار إلى الباب العالى فى السادس والعشرين من سبتمبر ١٩١١ وأبلغه أن إيطاليا قررت احتلال طرابلس الغرب ثم باشرت إيطاليا عملية الغزو فى الرابع من أكتوبر ١٩١١ وأصبحت المواجهة هذه المرة مع دولة أوربية ذات أطماع اقتصادية وتوسعية

وتملك أحداث الأسلحة البحرية والجوية والبرية، ومثل ذلك الاحتلال كارثة إنسانية وسياسية لا قبل للشعب بها بسبب اختلال موازين القوى وأصبحت ليبيا بحكم تلك التطورات تابعة لإيطاليا .

والجدير بالذكر هنا أن الإيطاليين هم أول من أن أعطى اسم ليبيا لما كان يسمى فى العهد العثمانى بولاية طرابلس والتى تشمل برقة وطرابلس وفزان . وكان العالم الإيطالى الجغرافى (ف. مينوتلى) أول من استعمل اسم ليبيا فى كتابه (جغرافية ليبيا) المطبوع عام ١٩٠٣ .

وقبل الدخول إلى بدايات الغزو لا بد من الإشارة إلى أنه فى عام ١٩٠٨ شجعت بريطانيا بعثة يهودية بالقيام بزيارة إلى ولاية طرابلس بهدف البحث على موطن قومى لليهود وعرضت بريطانيا الفكرة على هرتزل ومال إلى الفكرة مع عدد من زعماء اليهود الغربيين وبدأت البعثة اليهودية بإعداد دراسة عن إنشاء مستعمرات زراعية فى برقة وفى الجبل الأخضر بالذات، وتكونت البعثة من عالم فى الجيولوجيا وخبير فى الزراعة ومستشرق . وتذكر بعض وثائق هذا المشرع التفكير فى إقامة بنك يهودى لشراء أرض شاسعة، وبناء ميناء وسكة حديد وشركة للملاحة . وسيسعى أصحاب المشروع إلى الحصول على غطاء من الدولة العثمانية ومنح الجنسية العثمانية إلى أعداد من اليهود بوصفهم لاجئين عثمانيين . لكن هذا المشروع لم يكتب له النجاح لأن فريقا من قادة اليهود عارضوه بشدة لأنهم يريدون التركيز على فلسطين باعتبارها أرض الميعاد .

بهذه المحاولة اليهودية الفاشلة نتحول إلى بداية الغزو الإيطالى حيث سجل المؤرخون بداية الهجوم العسكرى على المدن الساحلية فضرب الأسطول الإيطالى بمدافعه مدينة طرابلس ظهر اليوم الثالث من أكتوبر ١٩١١، وفى اليوم الرابع سقطت القلاع الدفاعية ونزل أول فوج من جنود الاحتلال، وفى اليوم الخامس من الشهر ذاته أكتوبر تدفق الغزاة على طرابلس وبلغ عددهم نحو أربعة وأربعين ألفا بقيادة الجنرال (كارلو كنيفا) . وفى برقة نزلت القوات الإيطالية الغازية في الأيام ذاتها، ففى الرابع من أكتوبر نزلوا فى طبرق، وفى اليوم السابع عشر نزلوا فى درنة، وفى اليوم التاسع عشر نزلوا فى بنغازى، أما فى اليوم العشرين منه فنزلوا بالخمس .

ورغم شدة الصدمة أمام هذه الغزوة المدججة بالرجال والسلاح بدأ الشعب الليبى يستعد للمقاومة . وانطلقت أول معركة فى طرابلس فى اليوم العاشر من أكتوبر فى منطقة بومليانة، وتوالت المعارك :

- فى المنشية، ٢٣ أكتوبر .
- شارع الشط، ٢٣ أكتوبر .
- الهانى، ٢٦ أكتوبر .

ثم تواصلت المعارك لتشمل كل المدن الليبية وكل الجبال والوديان والسهول وأحصى خليفه التليسى فى كتابه (معجم معارك الجهاد الليبى) نحو خمسمائة معركة اعتبرها كل

أو أغلب المعارك ابتداء من عام ١٩١١ وحتى ١٩٣١ . وهو آخر أعوام المقاومة عندما سجل استشهاد عمر المختار المشهد البطولي الأخير لجهاد الشعب الليبى الذى قدم فيه نحو نصف عدده أى نحو سبعمائة ألف إنسان وقد أحدث شنق عمر المختار ردود أفعال غاضبة ومستنكرة فى كل البلدان العربية، وخاصة بلدان الجوار . وأقيمت المآتم، وأبّنه كبار الشعراء والأدباء والكتاب وعلى رأسهم أمير الشعراء أحمد شوقى بقصيدته الشهورة ومطلعها :

ركـــزوا رفـــاتك فى الرّمـــال لواء

يســـتنهض الوادى صـــباح مـــساء

وخليل مطران بقصيدة مطلعها :

أبيتَ والسـيف يعلو الرأس تسليـمـا

وجُـدتَ بالروح جود الحـرّ أن ضيـمـا

وفى تونس أقام الحزب الحر الدستورى حفلا لتأبين البطل الشهيد وألقى الشاعر محمود بورقيبة قصيدة قال فيها :

مـــضى عـــمـــر المخـــتـــار لله رافـــلا

بثـوب نقى حـيك من خـالص الطهـر

مـضى عـــمـــر المخـــتـــار لله بعـــدمـــا

قضى الواجب الأسـمى بأعلى ذرا الفخر

مـــضى عـــمـــر المخـــتـــار لله هـانئـــا

سعيدا شهيـدا وانطوت صفحة العمر

مـــخلفـــة للعـــالمين مـــآثرا

هى الغرر البيضاء فى جبهة الدهر

ومن دمـــه المســـفـــوك سطر آية

سيحفظها التاريخ بالحمد والشكر

وإلى جانب العمل العسكرى الذى قام به المجاهدون جرت محاولات تنظيمية لابد من التوقف عندها ومنها الحكومة التى أسسها رمضان السويحلى عام ١٩١٥، وألحق بها مجلسا للعلماء ينظر فى قضايا الناس وما تتطلبه من نظر ومعالجات .

وفى عام ١٩١٨ برزت فكرة (الجمهورية الطرابلسية) لتكون أول جمهورية عربية، وعقد لها مؤتمر خاص فى منطقة مسلاتة، وأختير جامع المجابرة مكاناً محدداً للاجتماع كما يروى المرحوم الشيخ الطاهر الزاوى فى كتابه (جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب) وانبثق عن هذا المؤتمر ثلاثة مجالس :

١- المجلس الجمهورى يتكون من أربعة أعضاء : هم رمضان السويحلى، سليمان الباروني، أحمد المريض، عبد النبى بلخير، وهو أعلى سلطة سياسية فى الجمهورية.

٢- مجلس الشورى ويتكون من أربعة وعشرين عضواً.

٣- ومجلس شرعى يتكون من أربعة أعضاء .

وتم اختيار هذه المجالس عن طريق انتخاب بعضهم من الحاضرين فى مؤتمر مسلاتة والبعض الآخر من الغائبين بهدف

توزيع المسؤوليات وإشراك جميع القبائل . لكن هذه الجمهورية لم تعش طويلا لأنها ولدت قبل اكتمال الظروف السياسية والثقافية التى تساعد على نموها واستمرارها .

وتبع ذلك إنشاء حكومة وطنية منبثقة عن اتفاقية الصلح مع الإيطاليين وهو الصلح المعروف بصلح بنيادم عام ١٩١٩ لكنها لم تستمر طويلا . ومن أهم تلك المحاولات التنظيمية مؤتمر غريان ١٩٢٠ الذى حقق تأسيس هيئة الإصلاح المركزية برئاسة أحمد المريض . ومن أهم قرارات مؤتمر غريان الدعوة إلى إقامة حكومة ليبية برئاسة رجل مسلم وإرسال وفد إلى أجدابية للاجتماع إلى السيد إدريس السنوسى وإبلاغه باستعداد هيئة الإصلاح بإعطاء البيعة له ليكون قائدا لكل البلاد . وتزامن هذا التحرك من قبل قادة طرابلس مع اعتراف إيطاليا بإمارة السيد إدريس على دواخل برقة وتشمل واحات جالو وأوجلة والكفرة والجغبوب .

والجدير بالملاحظة هنا أن الخلافات التى كثرت فى القسم الغربى من البلاد جعلت زعماء طرابلس غير قادرين على توحيد الصفوف وغير قادرين على الاتفاق على زعيم واحد يخوضون معه معركة التحرير والاستقلال بينما استطاعت الحركة السنوسية أن تحصن القسم الشرقى من البلاد من تلك الخلافات وسلبياتها . وظلت القيادة السنوسية فى عهد أحمد الشريف ثم إدريس المهدى قادرة على فرض حضورها الدينى والأدبى على سكان برقة، وظل زعماء القبائل على ولاء كامل للقيادة السنوسية . كما

كانت فزان موحدة إلى حد كبير تحت قيادة أحمد سيف النصر الذى كان أقوى شخصية .

وقبل أن نتجاوز هذه المرحلة أود الإشارة إلى أن السيد أحمد الشريف كان حتى الحرب العالمية الأولى هو الشخص القيادى البارز وكان على صلة وثيقة بالأتراك واستطاع أن يحصل على مساعدات عسكرية لمحاربة الإنجليز والطليان، وكان أحمد الشريف قد ورث عن أجداده وعمه المهدى الروح العسكرية والاهتمام بالسلاح وببناء الزوايا بصورة عمرانية جميلة (انظر حاضر العالم الإسلامى، الجزء الثانى، فصل السنوسية شكيب أرسلان) .

ومن الشخصيات العربية المهمة التى كانت على صلة بالسيد أحمد الشريف وقامت بدور عسكرى فعال : جعفر العسكرى، الضابط العراقى الذى درس العسكرية فى تركيا وأصبح من الضباط المرموقين، وعندما فكرت تركيا في تقوية الجبهة السنوسية ضد الإنجليز فى مصر من جهة الغرب أرسلت جعفر العسكرى بالأسلحة إلى أحمد الشريف . وفى مذكراته كتب عن رحلته ومغامرته بنقل السلاح من أحد الموانى اليونانية إلى نقطة بحرية بين طبرق والسلوم .

وعلى خلاف ما ذهب إليه أحمد الشريف فى تحالفه مع الأتراك ضد البريطانيين رأى السيد إدريس السنوسى أنه لا جدوى من معاداة البريطانيين بل يجب التحالف معهم ضد

الإيطاليين . ويتحدث جعفر العسكرى عن شخصية أحمد الشريف وعن عاداته فيقول : « كان دمث الأخلاق، لطيف المعشر، يحب أحيانا الفكاهة والمداعبة . وكان مولعا بالمطالعة ولا سيما مطالعة الكتب التاريخية الإسلامية، وكان طعامه بسيطا لا يتعدى لونا أو لونين، وكان أحيانا يحب أكل البازين . . . » ثم يصف العسكرى طريقة إعداد البازين وصفا دقيقا : « وكان يشرب بعد الطعام ثلاثة أو أربعة فناجين من الشاى الأخضر مع السكر الكثير . . . ثم يتحدث عن القبائل البرقاوية فيقول وكان الكثير من أبناء هذه القبائل لا يملكون ما يسد حاجتهم، ولكنهم كانوا صابرين قانعين برزقهم مواظبين على مقاومة العدو المغتصب لبلادهم » .

واستمر جهاد الليبيين ضد الاستعمار الإيطالى عسكريا أكثر من عشرين عاما متواصلة سقط خلالها أكثر من سبعمائة ألف شهيد وذاق فيها الشعب الليبى ويلات الحرب والمعتقلات الجماعية وهاجر عشرات الآلاف إلى عدد من البلدان العربية المجاورة . وكان أكثرهم هاجروا إلى تونس ومصر لقربهما من الحدود الليبية غربا وشرقا . ويذهب على مصطفى المصراتى إلى أن (عدد المهاجرين بلغ نحو مئة وعشرين ألف ليبى . . . من كتابه نماذج فى الظل) لكن الشيخ الطاهر الزاوى يقدر عدد الذين هاجروا إلى تونس بعشرين ألفا والذين هاجروا إلى مصر بأربعة عشر ألفا، وهاجرت أعداد أخرى إلى الشام وإلى السودان وإلى تركيا وعندما توقف العمل العسكرى بعد استشهاد عمر المختار

عام ١٩٣١ لم تتوقف الجهود السياسية وخاصة فى مصر التى كانت دار هجرة لكثير من القيادات الليبية وعلى رأسهم الأمير إدريس السنوسى.

- كثير من أحداث التاريخ فيها النصر والهزيمة، وفيها الاتفاق والافتراق، وفيها حالات المصالحة وحالات المنازعات التى تصل إلى مرحلة الاقتتال، وفيها من لم تمتد يده إلى إيطالى. وهناك قادة وعلماء صافحوا الطليان وأعطوهم الولاء وأخذوا منهم الأموال، وهناك من قاتلوا تحت راية الطليان فى داخل البلاد وفى خارجها (الحبشة مثلا)، وهناك من هاجروا وماتوا عطشا وجوعا فى الصحارى، وهناك من هاجروا وظلوا أكثر من أربعين عاما فى الهجرة.

ثم دار الزمان دورته واندلعت الحرب العالمية الثانية وتحالف الأمير إدريس مع البريطانيين ضد الإيطاليين وشارك الليبيون فى القتال بقوات الجيش السنوسى الذى أسس فى مصر عام ١٩٤٠. وبانتصار الحلفاء وهزيمة المحور ومنه إيطاليا، ربح الليبيون نتائج الحلف، فانسحبت إيطاليا من ليبيا لصالح بريطانيا وفرنسا، وكان هذا الانسحاب أحد المتغيرات الكبرى التى كسبها الليبيون لصالح المطالبة بالاستقلال.

إن انتصار الحلفاء على المحور ودخول القوات البريطانية إلى ليبيا عام ١٩٤٢ هو التحول الكبير، وهو الفرصة التاريخية التى أنقذت ليبيا من حكم الفاشست الطليان بعد أكثر من ثلاثين عاماً من حكم واستبداد أسوأ أنواع الاستعمار. وبعد ذلك التحول

الذى جاء نتيجة من نتائج الحرب العالمية الثانية انطلقت مرحلة جديدة من البناء والصراع السياسى . كان الأبرز فيها ظهور الأحزاب السياسية لأول مرة وبلغ عددها أكثر من عشرة أحزاب، بعض تلك الأحزاب تشكل خارج البلاد فى مصر والشام، وأكثرها تشكل داخل البلاد . ومن أهم الزعامات التى عملت بقوة وحماس فى المرحلة التحضيرية للاستقلال «بشير السعداوى»، الذى أصبح زعيما لحزب المؤتمر الوطنى الطرابلسى وكان أكبر حزب فى ليبيا، ومن قدراته أنه كان خطيبا ومثقفا ومناورا سياسيا. ورغم اختلافه مع السيد إدريس ومع الإنجليز فإنه بايع السيد إدريس على زعامة الأمة كما أنه كان يحاور البريطانيين . ولكن يبدو أن طموحاته السياسية طوحت به فى آخر المطاف ليعيش خارج البلاد ويموت خارج البلاد، وبقى رمزا من رموز الكفاح ضد الاستعمار الإيطالى، ورمزا من رموز الصراع السياسى الثقافى فى تاريخ ليبيا الحديث .وفى إطار التحضير للاستقلال خاض الليبيون معارك وصراعات سياسية وثقافية طوال نحو سبع سنوات، كانت معظمها مركزة على المطالبة بتقرير المصير ونيل الاستقلال والانضمام إلى الجامعة العربية وحدثت تحولات دولية كثيرة وتناقضات بين مصالح الدول الكبرى لتصب فى صالح الاستقلال الذى جاء نتيجة لجهاد الشعب الليبى لقرار الأمم المتحدة ٢١ / ١١ / ١٩٤٩ . وخلال معركة التحضير للاستقلال كان إعداد وثيقة الدستور من أهم وأصعب المراحل وقد قيض الله لها من تحمل المسئولية وتجاوز الجميع خلافاتهم وصدر الدستور

فى السابع من أكتوبر ١٩٥١ أما بيعة السيد إدريس فقد تمت فى ١٧ / ١٢ / ١٩٥٠ أى قبل صدور الدستور وجاءت مباشرة بعد قرار الأمم المتحدة الخاص باستقلال البلاد وليصبح أول ملك على ليبيا وحصل على البيعة من أعضاء الجمعية الوطنية التأسيسية وهى التى وضعت الدستور وكانت برئاسة مفتى طرابلس الشيخ محمد أبو الإسعاد والذى أصبح أول مفتى للبلاد بعد الاستقلال .

وفى يوم ٢٥ / ١٢ / ١٩٥١ أعلن الملك إدريس رسميا من قصر المنار فى بنغازى استقلال البلاد تحت اسم (المملكة الليبية المتحدة)، وهى أول دولة يؤسسها الشعب الليبى على طراز الدول الوطنية الحديثة وقد تم ذلك بمساعدة الأمم المتحدة .

* * *

---

* هذا ملخص لمحاضرة ألقيتها فى لندن يوم الأحد ٣٠ يناير ٢٠٠٢، مع تعديلات وإضافات بسيطة .... وجرت بعد المحاضرة حوارات تناولت جوانب عدة من جهاد الشعب الليبى ومرحلة الاستقلال ... كانت المحاضرة بمناسبة ذكرى مرور نصف قرن على استقلال ليبيا .

ثورة التحرير الليبية
فى الشعر العربى الحديث

إن ثورة الشعب الليبى التى انطلقت فى أكتوبر عام ١٩١١ ضد الغزو الاستعمارى الإيطالى لم تكتب تفاصيلها بعد بموضوعية ونزاهة كاملة، ولم تسجل ملاحمها البطولية بكل فصولها، ومن تلك التفاصيل المهملة حتى الآن كشف بأسماء كل المعارك ومواقعها الجغرافية يصاحبها كشف بكل الأبطال الذين شاركوا فيها ونوعية الأسلحة التى استخدموها، ونوعية الوسائل التى تنقلوا على ظهورها من الخيول والإبل والحمير أو مشيا على الأقدام، ونوعية الطعام الذى كان زادهم فى تلك السنوات العجاف .... ومن تلك التفاصيل كل شيء له صلة بحياتهم وخاصة أثناء خوض تلك الملاحم البطولية ومن تلك الفصول ما يتعلق بالثقافة السائدة فى ذلك الوقت والتى كانت المحرك الأساسى الذى جعل الشعب يتدافع إلى ميادين الجهاد ..... ثم تصدر هذه التفاصيل وغيرها فى أطلس شامل يمكن أن يسمى :

(أطلس ثورة التحرير الليبية وأن يخصص متحف لتاريخ تلك المرحلة) وهى الثورة التى أشعلت النار فى وجه المستعمر

الإيطالى، وبدأت من مدن السواحل الليبية وامتدت لتشمل الدواخل بكل جبالها ووديانها وصحاريها والتى قدم فيها الشعب الليبى نحو نصف سكانه أى نحو سبعمائة ألف مواطن منهم الرجال والنساء والأطفال وكان آخر رمز من رموزها شيخ الشهداء عمر المختار الذى ذاع صيته رغم كل التعميم الإيطالى الذى حاول أن يخمد صوته وثورته قبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام شنقا فى يوم الأربعاء ٤ جمادى الأولى ١٣٥٠هـ الموافق ١٦ سبتمبر ١٩٣١م وكان عمره نحو سبعين عاما .

واستحق بجدارة أن يكتب بدمه وروحه الفصل الأخير من أسطورة ثورة التحرير الكبرى لشعب صغير فقير داهمته قوة عسكرية أوربية مسلحة بأحدث ما أنتجته النهضة الأوربية من أسلحة الدمار من طائرات ومدفعية وعربات قادرة على شق طرقها فى الصحارى والجبال الليبية .

كما أن الدراسة لتلك المرحلة تستحق تقييما نزيها للجوانب السلبية التى كانت تعيق تلاحم القوى الحية ما أضعف مواقفها أحيانا وجعل بعض المواطنين يصطفون مع طوابير وقوى المستعمر الإيطالى .

تلك الثورة هى التى مهدت لتعاطف العالم مع الشعب الليبى وهى التى فتحت الطريق أمام الكفاح السياسى الذى حقق استقلال البلاد فى ديسمبر ١٩٥١ .

وإذا كان الشعر هو أجمل سجل وأجمل ديوان لتراث الشعوب فإن أكبر شعراء اللغة العربية وآدابها قد زينوا شعرهم ودواوينهم بقلائد من الفخر والاعتزاز بتضحيات وبطولات الشعب الليبى فى مواجهة الغزو الإيطالى ... وعبر هؤلاء الشعراء بعمق وتفاعل شديد عن ملاحم تلك الثورة الشعبية الملتهبة بوقود الإيمان وآيات القرآن والشعر الشعبى وقيم الفروسية والشجاعة والشرف والمروءة والنبل التى كانت أعظم محرك ثقافى لظاهرة ثورة التحرير . وكان يومئذ لهذه القيم معنى ومكانة فى حس وثقافة الشعب الليبى والتى بها خاض الصراع حتى تظل ليبيا عربية اللسان إسلامية العقيدة والحضارة والانتماء .....

أحمد شوقى أمير الشعراء كان على رأس قائمة الشعراء العرب الذين انفعلوا بمعارك التحرير وكتب أروع قصائده فى تمجيد تلك المعارك وما تجسده من دلالات دينية وثقافية ....

ومجاهدين هناك عند معسكر

ومن المهابة بين ألف معسكر

عرب على دين الأبوة فى الوغى

لا يطعنون القرن مالم ينذر

يمشون من تحت القذائف نحوها

لا يسألون عن السعير الممطر

وعلى النسق ذاته كتب حافظ إبراهيم مشيدا بثورة الشعب الليبى ضد الغزاة الطليان :

خـــبـــروا (فكتـــور) عنا أنه
أدهش العـــالم حـــربا ونظامـــا
أدهـش الـعـــــــالـم لما أن رأى
جـيـشـه يسـبق فى الجـرى النعـامـا
مـــالهم والنصـــر من عـــاداتهم
لزمـوا الســاحل خـوفا واعـتـصـامـا
إيـه يا (فـــيـــــزوف) نم عـنـهـم
فـقـد نفـضت أفـريقـيـا عنهـا اللثام
فـــهى بركـــان لهـم ســـخـــره
مـالك الملك جـــزاء وانتـقـــامـا

أما أديب الجملة القرآنية مصطفى صادق الرافعى صاحب كتاب (من وحى القلم) وصاحب العديد من الكتب الأدبية الرائعة الأخرى فيقول :

من الصـــواعق لا يبـــقى ولا يذر
إذا انتـضـاه لأهل النقـمـة القـدر
يرمى به الله رجـمـا لا يقـوم له
هام الشـيـاطين إلا حـيـث ينحـدر

فى حـده من شـعـاع الموت بارقـة
يموت من هولهـا فى الضـربة النظر
سـيف تجـرده الدنيـا لمن جـحـدوا
بأس الأوائل حـتى تشـهـد الآخـر
فكلمـا بلى التـاريخ جـدده
وكلمـا كـاد ينسى أهله ادكـروا
جـاءوا إلينا سـوادا كـالدجى فـبـدا
من بيض أسيافنا خلف الدجى السحر

ومن مـصـر وشـعـرائهـا إلى العـراق إلى بغـداد إلى مـعـروف الصافى وكلماته الواضحة والمعبرة :

يعـز علينـا أهل برقـة أنكم
تدور عليكم بالدمـار رحى الحـرب
وأنا إذا مـا تسـتـغـيـثـون لم نجـد
إليكم على بعـد المسـافـة من درب
وقـد علم الأعـداء أن سـيـوفنا
تململ فى الأغـماد شـوقا إلى الضـرب
ويا أهل بنغـازى سـلام فـقـد قـضت
صـوارمكم حق المواطن فى الذب

حميتم حمى الأوطان بالموت دونها

وذاك بما فـــــيكم لهن من الحب

هذه فقرات صغيرة من شعر عمالقة الشعر والأدب العربى الحديث وهناك شعراء كثيرون آخرون مجدوا بطولات وتضحيات الشعب الليبى فى ثورته التحريرية الكبرى فى القرن العشرين، ومن أولئك الشعراء على سبيل المثال : أحمد محرم ـ حسن القاياتى ـ صالح عبد القادر من السودان ـ خليل مطران .ومحمود بورقيبة من تونس . وهى ثورة شعبية بكل ما تعنى الكلمة، وإذا أراد الجيل الجديد ومن يأتى بعده من الأجيال من أبناء ليبيا أن يتعلم من كفاح وبطولات وسير أجداده فطريق ذلك أن يقرأ هذا التاريخ وأن يعيش مع نبض وحركة ذلك التاريخ ومع فرسانه وأبطاله عليه أن يقرأ تفاصيل سيرة عمر المختار وثقافته، وأن يقرأ عن كل الأبطال الآخرين .... وعندما يقرأ هذا الجيل لهؤلاء الأبطال وأمثالهم من المهم ألا يتوقف كثيرا عند بعض السلبيات وعند بعض المناورات السياسية أو عند بعض الأخطاء القيادية بل عليه أن يغوص فى عمق الأحداث وفى عمق أبعاد هذا الصراع الملتهب وأن يكوّن صورة كاملة عن كل بطل وكل تجربة وأن يتوصل إلى نتيجة تحسب على أساس (الحسنات يذهبن السيئات) ومن كانت أعماله الصحيحة والخيرة والوطنية أكثر وأوضح فهو فى عداد أبطال الأمة .... أقول هذا الكلام وهذا التنبيه لأننى قرأت بعض الكتب الحديثة تتعسف فى أحكامها وتلتقط بعض

الأخطاء وبعض السلبيات وتنتزعها عن طبيعة زمانها ومكانها وتبنى عليها أحكاما خاطئة، وهذا التعسف يفسد ويشوه مجمل الرجال الذين صنعوا ملحمة التحرير الكبرى (١٩١١ - ١٩٣١) والتى مهدت الطريق للمعركة السياسية (١٩٣١ - ١٩٥١) والتى توجت بالاستقلال ....

إن قراءة التاريخ والوعى بنبضه وزخمه وعمقه هو أحد دورب الحرية فالتاريخ يعلمنا أن معركة التحرير لأى شعب من الشعوب وقودها الدماء الزكية، وكل شعب لا يضحى بجزء كبير من رجاله وشبابه ونسائه لا يمكن أن يكسب تلك المعركة ولا يمكن أن يطيح بالطغاة والظالمين والمستبدين وأن يبنى مجتمعا جديدا ونظاما جديدا يسوده العدل ... وسيظل الفضل دائما للرجال والنساء الشجعان الأحرار، فهم بسجل تاريخهم المشاعل التى تضىء الطريق للأجيال .... ويظل أولئك الفرسان الأبطال هم ملح الحياة ومفخرة الأمم، وهم أحياء يمشون بين الآخرين بسيرتهم بتاريخهم بمواقفهم أما غيرهم من الأصناف الأخرى فلا نكاد نجد ذكرا لهم وتلك هى بعض أبعاد وظلال معانى قوله تعالى ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ [آل عمران:١٦٩] .... إن ما سطره الشعراء العرب فى هذا الموضوع يستحق أن يكون مادة دراسية جامعية وسيجد الباحث متعة خاصة فى اكتشاف عمق وتاثير ثورة التحرير فى أدبيات تلك السنوات وما جسدته من روح

جهادية واستعداد للتضحية من أجل قضية الحرية والمحافظة على هوية الشعب الليبى ومن أهم أعمدتها اللغة والدين .

إن ثورة التحرير الليبية هذه جديرة بأن تدرس لا من أجل المعلومات التاريخية فقط، ولكن من أجل البحث عن زاد معنوى تعبوى ينهض بالنفوس والعزائم لمواصلة رحلة التحرير التى لم تكتمل بعد على مستوى الإنسان والمجتمع .... هكذا يتضح أن تراث ثورة التحرير الليبية الكبرى لم يجمع بعد ولم يبحث ويدرس بكل تفاصيله ورغم ما يقوم به مركز الجهاد الليبى للدراسات التاريخية من أعمال جيدة، فإن الطريق مازال طويلا أمام الباحثين وقد أصبح الطريق أكثر سهولة ويسرا أمام من يريد أن يسير فيه بعد أن سهلت التقنيات الحديثة وسائل البحث فى المكتبات العالمية .

* * *

الفصل الثانى

بناء دولة الاستقلال
وملامح الصراع السلمى

ليبيا من التبعية والاستعمار
إلى دولة الاستقلال

إن الرابع والعشرين من شهر ديسمبر / كانون الأول من العام ٢٠٠١ صادف اليوبيل الذهبى لاستقلال ليبيا . ومرور نصف قرن على تحقيق الاستقلال يستحق أن يكون مادة للكتابة فى موضوعات عدة ومن أهم تلك الموضوعات الحياة الثقافية التى تمثل جريان الدم فى الجسم الإنسانى فكلما كانت هناك ثقافة صحية كان هناك المجتمع الصحى وكان هناك النشاط الحيوى فى جميع مناحى الحياة . ولا يمكن أن تنشأ حياة سياسية إيجابية إذا كان الشعب أميا ولاحظ له من أسباب الثقافة المولدة لطاقات الإبداع والحيوية فى الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية . ولعله من المهم قبل أن نتناول الملامح العامة للحياة الثقافية والسياسية فى العقدين الأولين من الاستقلال أن نشير باختصار إلى الظروف العامة التى سبقت الاستقلال ومن أهم المراحل التاريخية التى مرت بها ليبيا قبل الاستقلال مباشرة :

مرحلة الاستعمار الإيطالى والتى ما بين ١٩١١ إلى ١٩٤٣ عندما هزمت إيطاليا فى الحرب العالمية الثانية . ويعتبر الاستعمار الإيطالى من أسوأ أنواع الاستعمار الأوروبى لأن إيطاليا كانت من

أسوأ الدول الأوربية وخاصة فى فترة الحكم الاستبدادى الفاشستى بقيادة بينيتو موسلينى فلم يستفد الشعب الليبى لا تعليميا ولا ثقافيا ولا من حيث شبكة المواصلات والخدمات العامة على عكس الاستعمار الفرنسى فى تونس مثلا أو الاستعمار البريطانى فى مصر .

ويصف الأمير شكيب أرسلان طبيعة الاستعمار الإيطالى الذى ابتلى به الشعب الليبى قائلا : «وخلاصة القول أن إخواننا الطرابلسيين لأمر يريده الله ابتلوا من الاستعمار الإيطالى الفاشستى بالداهية الدهماء والبلية الصماء التى مهما كثرت مصائب الإسلام فى هذا العصر فلا شيء منها يشبهها» كما عبر الصحفيون الأوربيون الذين سافروا إلى ليبيا لتغطية أخبار الحرب عن الفظائع التى ارتكبها الجيش الإيطالى ضد الشعب الليبى ومنهم مراسلون بريطانيون وألمان ونمساويون وفرنسيون ... (حاضر العالم الإسلامى، الجزء الثانى) ... وبهزيمة إيطاليا فى الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء أصبحت ليبيا تحت الانتداب البريطانى فى طرابلس وبرقة والفرنسى فى فزان وأثناء هذه المرحلة انتعشت الحياة الثقافية والأدبية والسياسية وبدأت النخب الليبية فى تاسيس النوادى الأدبية والأحزاب السياسية ...

وكانت هذه المرحلة هى مرحلة التحضير لاستقلال البلاد والتى استمرت إلى عام ١٩٥١ حيث أعلن استقلال ليبيا. فى هذه السنوات الثمانى نشط الليبيون فى المهجر وفى داخل الوطن

ومن حسن الحظ حدوث ثلاث متغيرات كبرى كلها تظافرت لمصلحة تطور الحياة الثقافية والسياسية فى ليبيا وأول هذه المتغيرات انتصار الحلفاء على الإيطاليين فى الحرب العالمية الثانية وكان الأمير إدريس السنوسى قد عقد حلفا مع بريطانيا ووضع الجيش السنوسى (أى المتطوعين الليبيين للحرب ضد الطليان) يحارب جنبا إلى جنب مع القوات البريطانية فكسب الأمير إدريس الرهان. والمتغير الثانى تمثل فى تأسيس الجامعة العربية فى مارس ١٩٤٥ وكان عبد الرحمن عزام أول أمين للجامعة من الرجال الذين جاهدوا مع الليبيين ضد الاستعمار الإيطالى وواصل جهاده بدعم الجهود الليبية فى المحافل الدولية معززا طلب الاستقلال التام لليبيا، وكان لعزام أسلوبه الخاص الذى جعله فى خلاف مع بعض القيادات الليبية فى بعض الأحيان وفى بعض المراحل التاريخية. أما المتغير الثالث فهو إنشاء الأمم المتحدة وما نص عليه ميثاقها من حق الشعوب فى الحرية وتقرير المصير مما مهد الطريق أمام تصعيد الكفاح السياسى وجعل مطلب الاستقلال فكرة قابلة للنجاح وفى تلك الأجواء ظهرت إلى الوجود ولأول مرة النوادى الأدبية والأحزاب السياسية فى كل من طرابلس وبرقة وانطلقت أغلب الأحزاب من مدينتى طرابلس وبنغازى حيث كانت أسباب تأسيس الأحزاب أكثر حضورا من بقية مناطق البلاد التى عمها الجهل والفقر بنسبة عالية جدا...

ومن مظاهر وملامح الحياة الثقافية والأدبية والسياسية

جمعية عمر المختار التى بدأت بالنشاط الرياضى والثقافى وقد تأسست أولا فى مصر بجهود شاب وطنى مثقف هو أسعد عرابى ابن عمران من مدينة بنغازى ثم انتقل نشاطها إلى بنغازى ودرنة ومن أبرز شخصياتها: مصطفى بن عامر. خليل الكوافى. عوض الشيبانى. محمود مخلوف. محمد بشير المغيربى. ومن أهم شخصياتها الأدبية الشاعر المعروف أحمد رفيق المهدوى الذى يعتبر أحد أعمدة الشعر فى ليبيا فى تلك المرحلة وحتى وفاته وقد لعبت الجمعية دورا مهما فى مرحلتى التحضير للاستقلال وما بعد الاستقلال.

فى المرحلة الأولى عملت الجمعية على إشاعة وترسيخ ثقافة الوحدة الوطنية وضرورة التحام سكان ليبيا فى دولة وطنية واحدة بعكس الأصوات والاتجاهات التى كانت تنطلق من أفق إقليمى ضيق وأخيرا انتصرت ثقافة الوحدة والالتحام ثقافة المدينة على ثقافة التجزئة والجهوية ثقافة القبيلة وكان ذلك أمر مهم فى تاريخ تلك المرحلة وتاريخ رجال الجمعية وقادتها. وكان للجمعية صحيفة تسمى الوطن والتى عكست القضايا المطروحة فى ذلك الوقت كما قامت الجمعية بعدة أعمال تعليمية لمكافحة الأمية ولتعليم اللغات الإنجليزية والفرنسية وتعليم العربية للشباب اليهودى فى مدينة بنغازى.

وبهذه الأعمال وغيرها من الأعمال الأخرى تعتبر جمعية عمر المختار من المؤسسات المهمة فى تاريخ ليبيا المعاصرة لأنها

عدلت من ميزان القوى السياسية فى برقة بالذات (وثائق جمعية عمر المختار لمحمد بشير المغيربى)والتقت مع توجهات حزب المؤتمر الوطنى بزعامة بشير السعداوى والذى كان يطرح شعارا ثلاثيا كنا نحفظه ونحن دون العاشرة من أعمارنا . . . الشعار يقول (الاستقلال التام والوحدة والانضمام إلى الجامعة العربية) والمقصود بالوحدة هى الوحدة الوطنية داخل ليبيا .

وفى طرابلس قفز النشاط الثقافى والأدبى والسياسى قفزة قوية تجسدت فى تأسيس الأحزاب السياسية ومنها الحزب الوطنى الذى أسسه أحمد الفقيه حسن ١٩٤٤ حزب الجبهة الوطنية المتحدة برئاسة سالم المنتصر ١٩٤٦ . حزب الاتحاد المصرى الطرابلسى برئاسة على رجب ١٩٤٦ وحزب العمال برئاسة بشير حمزة ١٩٤٧ ثم تأسس حزب الاستقلال بزعامة سالم المنتصر بعد أن انشق عن الجبهة الوطنية المتحدة . وفى أوائل عام ١٩٤٩ تأسس حزب المؤتمر الوطنى بزعامة بشير السعداوى الذى أصبح زعيما لأكبر حزب فى ليبيا . . وبفضل ذلك الكفاح السياسى وتداعيات ما بعد الحرب العالمية الثانية تحققت بعض الأهداف الأساسية ومنها وضع الدستور الذى صدر فى السابع من أكتوبر ١٩٥١ ويعتبر من أرقى الدساتير فى ذلك الوقت إذ أكد فى كثير من مواده على الحريات العامة وعلى حقوق الإنسان ولم تكن هذه المواد نصوصا فقط بل من عاصر العهد المالكى بما فى ذلك من عارضه لابد أن يعترف بأن الدستور كان يطبق بنسبة عالية من الجدية والأمانة .

وقبل الدخول فى عملية بناء الدولة الليبية الحديثة لابد من الإشارة إلى الأوضاع البائسة التى كان عليها الشعب الليبى فى تلك المرحلة التاريخية فعشية الاستقلال كانت ليبيا تعتبر من أفقر بلدان العالم ،والأمية تفوق تسعين فى المائة وعدد المدارس الثانوية والفنية لا يتجاوز العشرات وعدد الخريجين هو الآخر لا يتجاوز العشرات ولم تكن هناك أى جامعة ولا معهد متوسط وكان عدد سكان البلاد نحو مليون نسمة يعتمدون فى حياتهم على الزراعة والرعى. وكل أنواع الخدمات كانت شبه معدومة من الطرق والكهرباء والمياه والمستشفيات وخاصة فى مناطق الدواخل والأرياف.

ورغم كل ذلك تأسست دولة ليبيا الحديثة وخلال أقل من عشرين عاما وبإمكانات متواضعة انتشرت المدارس الابتدائية واتسعت دائرة المعاهد المتوسطة ونشأت الجامعة الليبية وكلية للشرطة وكلية للجيش. وتطورت نظم الإدارة والمال. وأدت جملة هذه التغيرات إلى تطور الحياة الثقافية والسياسية وتجلى ذلك التطور فى السنوات التالية وخاصة فى الستينيات حيث شهدت البلاد حركة غير عادية تمثلت فى فتح أبواب النوادى والمدارس والجمعيات لإلقاء المحاضرات وتنظيم المنتديات وإلقاء الخطب فى شتى الموضوعات وفى حرية تكاد أن تكون تامة.

وعلى خط مواز لهذا النشاط القائم فى داخل البلاد، قام الليبيون فى المهجر وخاصة من كانوا فى مصر بأعمال ثقافية

وسياسية مهمة لحشد التأييد السياسى لاستقلال البلاد ونقرأ عرضا شاملا لذلك النشاط فى كتاب الشيخ الطاهر الزاوى (جهاد الليبيين فى ديار الهجرة) . لكن الأحزاب فى داخل البلاد توقفت عن العمل منذ عام ١٩٥٢ إثر أول انتخابات نيابية حيث جرى تزوير الانتخابات فى عدد من الدوائر الانتخابية فى مناطق الدواخل وأدى ذلك التزوير إلى احتجاجات شعبية وإلى مواجهات مع الشرطة وسقط قتلى وجرحى وضاقت الحكومة والملك بما حدث وحملت الأحزاب مسئولية ذلك، وطويت صفحة الأحزاب فى ليبيا إلى يومنا هذا.

وإذا كانت الصحافة هى لسان حال الشعب وهى إحدى أدوات التعبير والتنوير فقد ظلت صحيفة طرابلس الغرب منبرا لأهل الثقافة والأدب وتتلمذ على صفحاتها الكثير من القراء وتخرج منها الكثير من الكتاب فقد كانت جريدة طرابلس الغرب مفتوحة أمام الجيل الجديد الذى عاصر بدايات الاستقلال وخاصة أولئك الذين عاشوا فى مدينة طرابلس أو بالقرب منها. وعرفت مدينة طرابلس حركة المد الثقافى والأدبى عن طريق النوادى الرياضية الثقافية وعن طريق جمعية الفكر التى أسسها عدد من المثقفين والخريجين الذين رجعوا حديثا إلى ليبيا بعد أن أكملوا دراساتهم الجامعية فى الجامعات العربية والأوربية والأمريكية وشارك فى نشاطها الفكرى بالمحاضرات والمناقشات الكثير من المثقفين وكان من بينهم: خليفة محمد التليسى، على

مصطفى المصراتى، على العنيزى، على عتيقة، إبراهيم الغويل، على وريث، أحمد الدجانى، محمد رفعت الفنيش، كامل المقهور، نورى بريون.... وآخرون.

ومن مظاهر ومعالم الحياة الثقافية فى تلك السنوات صدور العديد من الصحف الخاصة وتزامن صدورها مع تحسن الأوضاع الاقتصادية بفضل تدفق شريان النفط والبدء فى تصديره إلى الأسواق الخارجية ١٩٦١، ورغم أن معظمها كانت تحصل على دعم مالى من الحكومة بأشكال كثيرة لكنها ظلت فى عمومها تعبر عن اتجاهات الرأى العام فى البلاد كما أنها كانت تعكس التيارات الفكرية والسياسية فى ليبيا...

ومن الصحف التى صدر أغلبها فى العقد السادس من القرن العشرين:

– الرائد : رئيس تحريرها عبد القادر أبو هروس.

– الميدان : لصاحبها ورئيس تحريرها فاضل المسعودى ويصنف من اليسار.

– الحرية : لمحمد الطشانى.

– الشعب : لعلى مصطفى المصراتى الكاتب والأديب المعروف.

– البلاغ : على أوريث وكانت أقوى صحيفة معارضة وذات توجه وطنى ناصرى.

– الأيام : لعبد الله شرف الدين وهو من قيادات حزب البعث العربى الاشتراكى.

– الحقيقة : لمحمد الهونى وكانت تصدر فى بنغازى وكان من كتابها الصادق النيهوم الذى تميز باسلوبه الكتابى وبموضوعاته الجدلية والتى كانت تثير ردود أفعال نقدية واسعة وخاصة فيما يطرحه من قضايا تمس الدين والأخلاق العامة...

يضاف إلى هذه الصحف صحف الدولة وهى:

– طرابلس الغرب فى ولاية طرابلس.

– فزان فى ولاية فزان.

– برقه فى ولاية برقة...

وبعد إلغاء الولايات وتوحيد السلطات وتعديل الدستور عام ١٩٦٤ تغيرت أسماء تلك الصحف إلى: العلم وتصدر بطرابلس. الأمة وتصدر فى بنغازى. البلاد وتصدر فى سبها....

وكان صاحب هذه المقالة من الذين تتلمذوا فى مدرسة جريدة طرابلس الغرب ثم العلم وكان أول من شجعنى على الكتابة الصحفى الرقيق الودود الطاهر النعاس وهو الذى شجع الكثير من الشبان على الكتابة وساعدهم وأرشدهم وعلمهم أساليب الكتابة فجزاه الله خير الجزاء.... كما كتبت فى صحيفة الرائد ثم كتبت فى صحيفة البلاغ وفى عدد من المجلات الحكومية مثل ليبيا الحديثة. مجلة الإذاعة. مجلة جيل ورسالة التى كانت تصدر عن الكشاف. وعلى صفحات هذا الكم من الصحف

والمجلات تكون جيل من كتاب المقالة والبحث والقصة القصيرة والشعر وأصبحت سنوات الستينيات سنوات واعدة ومشرقة وزاهية الألوان الإبداعية.

فى تلك السنوات ظل المسجد أحد بل من أهم مراكز الإشعاع الثقافى وخاصة يوم الجمعة حيث الخطاب الأسبوعى... فمن بعض المساجد تنطلق دعوات إلى التغيير والإصلاح ،تنطلق توجيهات إلى النهوض والارتقاء كما تنطلق انتقادات إلى مظاهر الانحراف والفساد والحسوبية رغم صغر مساحتها..

وكان من أهم خطباء الستينيات الشيخ فتح الله محمد أحواص المعروف بالشيخ فاتح والذى كان خطيبا موهوبا تتدفق على لسانه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية تدفقا متواصلا وكأنه يحفظها عن ظهر قلب وما هو بالحفظ ولكنها الموهبة الخطابية فى أجواء الحرية والأمن التى سادت ذلك الوقت رغم متابعة أجهزة الأمن لما يطرح من موضوعات وقضايا... وكان جامع سيدى حمودة بقلب طرابلس فى ميدان الشهداء لؤلؤة على صدر الحركة الثقافية والأدبية والسياسية وكان الشيخ فاتح بخطبه الوطنية السياسية رمزا من رموز تلك المرحلة الواعدة المتوثبة نحو آفاق المستقبل... كما عرفت تلك السنوات دروس وخطب الكثير من المشايخ ومنهم على سبيل المثال: عبد الرحمن القلهود. محمود المسلاتى. محمود صبحى مصطفى التريكى. محمد نشنوش. عبد السلام خليل. الطيب النعاس وكان هؤلاء المشايخ ينظمون دروسا بعد صلاة العصر فى

المساجد ويتحدثون فيها عن موضوعات فقهية ولغوية وتربوية وسياسية أحيانا وكانوا جميعا يتحدثون بلغة الوسط والتيسير.

ومن ملامح الحياة الثقافية أيضا النوادى الرياضية إذ لم تكن تلك النوادى خاصة لرياضة الأجسام فقط ولم تكن للمتعة بلعبة كرة القدم التى كانت تسر الناظرين والمشاهدين بل كانت لتلك النوادى وظيفة ثقافية حيث تعقد الندوات الفكرية وتلقى المحاضرات فى شتى الموضوعات الاجتماعية والتاريخية والأدبية والسياسية ومنها فى طرابلس: نادى ميزران ونادى المدينة ونادى الاتحاد وغيرهم من النوادى العامرة بالشباب ونشاطاته المتعددة.... وكانت المكتبات عامرة بأنواع الصحف والكتب والمجلات والدوريات بكل اللغات الحية ودل ذلك على رغبة قوية فى القراءة والاطلاع كما دل ذلك على مناخ الحرية وفتح الأبواب والنوافذ أمام أبناء وبنات الشعب الليبى للاتصال والتواصل مع شتى أنواع الأفكار والآداب والفنون...

إن حصاد السنوات العشرين الأولى من الاستقلال فى مجال التكوين والبناء البشرى هو الحصاد الذى ما زال حتى اليوم أساس ومصدر الكفاءات والقدرات الثقافية والأدبية والمهنية. وأن الأقلام والوجوه التى تعبر عن الحياة الثقافية والأدبية الليبية فى المحافل الإقليمية والدولية الآن هى من نتاج تلك السنوات.

ومن الكتاب الذين ساهموا بقوة فى إثراء الحياة الثقافية فى ليبيا فى تلك السنوات:

- على مصطفى المصراتى كاتبا ومؤرخا وخطيبا.

– وخليفة محمد التليسى الأديب الناقد.

– مصطفى بعيو الأستاذ الجامعى والمؤرخ.

– عبد الله القويرى. ويوسف القويرى بقصصهم ومقالاتهم.

– الشيخ المربى على يحيى معمر ومن أهم كتبه (الإباضية فى موكب التاريخ).

ومن الأسماء التى تلت ذلك الجيل:

– أحمد إبراهيم الفقيه.

– إبراهيم الكونى.

– على مهمى خشيم.

– الأمين مازن.

– يوسف الشريف.

– محمد أحمد الزوى.

– مصطفى التير.

وغيرهم كثيرون وأعتذر لمن لم تشملهم القائمة من ذلك الجيل الذى أحب القراءة والكتابة.... وبالنسبة لمشاركة المرأة فى الحياة الثقافية ومنها الأدبية والصحفية فإن تلك المشاركة كانت محدودة جدا بسبب تفشى الأمية فى بدايات الاستقلال إضافة إلى إهمال دور وحقوق المرأة بصورة عامة ومن بين الأقلام النسائية التى ساهمت وكافحت فى هذه الميادين الثقافية: حميدة

العنيزى. زعيمة البارونى، أمل شنيب، خديجة الجهمى. ومن الأسماء النسوية التى مارست العمل الصحفى فى الستينيات وبعدها فوزية بريون. مرضية النعاس. شريفة القيادى وغيرهن.

ومن معالم تلك الحقبة انتشار المكتبات الخاصة والحكومية وخاصة فى عقد الستينيات وكانت تلك المكتبات عامرة بكل أنواع الكتب والمجلات والصحف العربية والأجنبية وكان انتشارها واستمرارها يدل على سوق رائجة ويدل على رغبة قوية فى القراءة والأخذ بأسباب النهوض والارتقاء.

إن المدرسة والمسجد والصحيفة والكتاب تعتبر من أهم مصادر المعرفة والثقافة فى العقدين الأولين من الاستقلال وهى أعمدة البناء الاجتماعى فإذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت انهار بناء المجتمع... وبحكم التواصل الفكرى والثقافى والأدبى بين ليبيا وبقية العالم العربى وخاصة المشرق العربى ورغم حل الأحزاب التقليدية فإن الجيل الجديد من المثقفين أنشأ أحزابا سرية متأثرا بما ظهر فى المشرق العربى من جماعات وأحزاب ومن أهمها: حزب البعث العربى. القوميون العرب. اليساريون. الإخوان المسلمون.

وطوال تلك السنوات لم يعدم أى إنسان لأنه فكر وأسس حزبا سياسيا أو انتمى إليه أو لأنه كتب مقالا أو كتابا ينتقد السلطة الحاكمة أو لأنه وزع منشورا يهاجم الحكومات وسياساتها ويهاجم وجود القواعد العسكرية البريطانية والأميريكية وحتى من سجن فى تلك السنوات من البعثيين أو من القوميين لم

يعذبوا ولم تصدر ضدهم الأحكام القاسية. إن مرور خمسين عاما على استقلال ليبيا لابد أن تذكرنا بالتضحيات الكبيرة لجيل الأجداد والآباء الذى قدم مواكب الشهداء مهرا للحرية والكرامة الآدمية يقول الشيخ الطاهر الزاوى وهو أحد العلماء المجاهدين وأحد أعلام التاريخ والفقه (بذل الليبيون فى الدفاع عن وطنهم ما لا يقل عن سبعمائة وخمسين ألف نسمة، قتلوا برصاص الإيطاليين ومشانقهم فى سبيل الوصول إلى حريتهم واستقلالهم... وخسرت إيطاليا حسب بعض الإحصائيات قرابة ربع مليون من جنودها فى حرب استمرت أكثر من عشرين عاما...).

ألا تستحق هذه الذكرى ذكرى الاستقلال أن يحتفل بها فى كل عام؟؟؟...

ألا يستحق الجيل الجديد أن يعرف تاريخ أجداده وكفاحهم ليعرف جذوره ومصادر قوته وعزته؟؟؟

فى أقل من عشرين عاما بنى أجدادنا وآباؤنا دولة ليبيا الحديثة وسادها الأمن والأمان وكانت أحد درر شمال أفريقيا فى سنوات عصفت فيها التجارب الاشتراكية الفاشلة بكل من حول ليبيا وكانت هى السوق التى تفيض على سكان دول الجوار بما لا يجدوه فى بلدانهم....

إن الاستقلال ذكرى عظيمة عند من يقدر التضحيات العظيمة لمن صنعوا تاريخ ما قبل الاستقلال وما بعد الاستقلال

وخاصة العقدين الأولين من تلك العقود الخمسة، وقد اتسم الصراع السياسى والثقافى فى عهد الملك محمد إدريس المهدى السنوسى بخصائص إنسانية وأضفى تكوين الملك الدينى مسحة أبوية قل نظيرها فى العالم العربى، ومن أهم تلك الخصائص روح التسامح والحرص على تجنيب البلاد أى صراعات تقوم على العنف، ورغم كل الأخطاء وكل العيوب التى يمكن حصرها فى النظام الملكى فإن تلك المرحلة من تاريخ ليبيا تضع المرحوم الملك إدريس فى مصاف الملوك الصالحين لأنه كان تقيا ومخلصا ومتقشفا وصاحب أخلاق إسلامية بعدت به عن سفاسف الأمور وعن الفساد المالى حتى إنه مات فقيرا رغم أنه كان ملكا وعلى رأس دولة نفطية ولم تكن له حسابات فى أى بنك من بنوك العالم..... ويوم ترك البلاد ووقع الانقلاب لم يختر البقاء فى اليونان أو أن يتجه إلى أى بلد أوربى لكنه اختار أن يعيش بقية عمره فى مصر وظل بالقاهرة حتى انتقل إلى رحمة الله عام ١٩٨٣ ودفن بالمدينة المنورة.

* * *

(*) ركزت فى هذه المقالة على العشرين سنة الأولى من الاستقلال لأنها تمثل الفترة الملكية التى انتهت عام ١٩٦٩ كما ركزت على النشاط الفكرى والسياسى بطرابلس لأننى عشت بمدينة طرابلس بعد انتهاء دراستى الجامعية وعملت بإذاعتها وصحافتها وعاصرت كثيرا من أحداث ونشاط تلك المرحلة وخاصة فى الستينيات.... ومادة هذه المقالة كانت موضوع محاضرة ألقيتها بولزدن جرين بلندن يوم ٣٠ ديسمبر ٢٠٠١ .

الهجرة الليبية من خلال سيرة كاتبها الشيخ الطاهر الزاوي

فى سنة ١٩٢٤ تدفقت قوافل الهجرة من ليبيا إلى كل من تونس ومصر بأعداد كبيرة. واتجهت أعداد أخرى نحو بلاد الشام، ونحو تركيا حين كانت عاصمة السلطنة، وكانت ليبيا إحدى ولاياتها... (١٥٥١ - ١٩١١) واتجه آخرون إلى تشاد والسودان ونيجيريا.....

ويحدثنا الشيخ طاهر الزاوى فى كتابه (جهاد الليبيين فى ديار الهجرة: ١٩٢٤/ ١٩٥٢). أن من هاجروا إلى تونس بلغ عددهم ٢٠٠٠٠ نسمة، بينما بلغ عدد الذين هاجروا إلى مصر ١٤٠٠٠ نسمة، ويذهب على مصطفى المصراتى فى كتابه (نماذج فى الظل) إلى أن عدد المهاجرين من ليبيا إلى بلاد الإسلام والعرب زاد على ١٢٠٠٠٠ نسمة.

لماذا وقعت هذه الهجرة الجماعية، وكيف واجه المهاجرون ظروفها وصعوباتها؟.

يجيبنا الطاهر الزاوى فى كتابه المذكور على السؤال المطروح، وهو الذى عاصر مرحلة الجهاد ضد الإيطاليين، كما عاصر مرحلة الهجرة: (عشرون سنة والطليان لا يفترون عن

استعمال أسلحتهم النارية، من الجو بطائراتهم، ومن البحر بأساطيلهم، ومن البر بجيوشهم الجرارة، ضد الشعب العربى فى ليبيا، وهو صامد أمام هذا البلاء النازل عليه من كل مكان. وهو يشاهد فى كل يوم ازدياد النقص فى رجاله وعتاده وماله، ولكنه يفضل النار على العار، ويستحلى الموت الزؤام على حياة الذل والاحتقار، ويفضل الفناء على البقاء المرير تحت سيطرة الطليان واستبدادهم). وبعد مقاومة ضاربة خاضها المجاهدون ما بين ١٩١١ و ١٩٢٤ يسجل الزاوى أنه فى سنة ١٩٢٤ (انتهى كل نوع من أنواع المقاومة فى طرابلس من البحر الأبيض إلى حدود فزّان، وذهب الناس مذاهب فى طريق النجاة بأنفسهم. فريق قصد الحدود التونسية على طريق غدامس، وقسم ذهب إلى فزّان، وقسم ذهب معنا إلى مصر، وكان هذا الجلاء آخر عهد المجاهدين بوطنهم بعد جهاد دام أربع عشرة سنة، لم يتركوا منه شبراً إلا ودافعوا عنه ولا تجد مرتفعاً ولا منخفضاً إلا ولهم فيه دم مطلول أو جسد ممزق، وقد حفظ لهم التاريخ فى صفحاته من الجهاد المجيد ما لم يحفظ لغيرهم على قلة من المال والرجال وآلات الحرب).

وعندما توقفت حركة النضال والمقاومة العسكرية فى غرب ليبيا، واشتدت قبضة الغزاة الإيطاليين ظهرت فى شرق ليبيا (حركة السيد عمر المختار فى الجبل الأخضر ضد الطليان). ويقول الشيخ الزاوى الذى كان فى ذلك الوقت فى مصر أنه كان يكتب مقالات فى جريدة الأخبار لأمين الرفاعى، انتصاراً لقضية الوطن

ضد الاعتداء الإيطالى. وفى هذه الفترة كتب كتابه عن (عمر المختار) ووقعه باسم مستعار (أحمد محمود) بسبب نفوذ السياسة الإيطالية فى مصر وتسبب كتابه هذا فى تعميق الخلاف السياسى بينه وبين الأمير إدريس السنوسى الذى أصبح فيما بعد الملك إدريس واتخذ الملك إدريس موقفا متشددا من الشيخ الطاهر وحرمه من العودة إلى البلاد بعد الاستقلال إلا فى زيارات قصيرة.

هكذا كانت ظروف وأسباب هجرة الليبيين، وهى هجرة فتحت أبواباً أخرى، وكانت بداية لمرحلة جديدة، وبداية لكفاح جديد، يجمع بين مواصلة النضال السياسى، والأخذ باسباب العيش، والاعتماد على الذات، ويقدم لنا الشيخ الطاهر الزاوى صورة إيجابية لنشاط المهاجرين فى مصر. (وقد انتشروا فى مصر: فى صعيدها ابتداء من الجيزة إلى الفيوم والمنيا، وفى شرقها، وفى الشمال ابتداءً من الإسكندرية إلى العامرية، وما وراءها من مراكز الصحراء الغربية إلى السلوم وما بينهما، كحمام مريوط وعبد القادر والضبعة ومطروح وبرانى وسيوة والواحات وغيرها من مراكز الصحراء الغربية، كل ذلك وراء الرزق الحلال، وصوناً لنفوسهم من ذل السؤال، ولقد سلكوا كل طريق شريف لطلب الرزق، فاشتغلوا بالتجارة، وكانت اختيار الغالبية منهم، واشتغلوا فى الفلاحة، واشتغل بعضهم بالحراسة، وكانوا فيها مثال الأمانة والصدق. واستوطنت الأكثرية منهم الإسكندرية والعامرية ومطروح. ولم يمض إلا قليل حتى أحالوا مراكز الصحراء إلى قرى

عامرة، وأسسوا فيها متاجر لا تقل فى محتوياتها عن متاجر المدن، وأنشئوا فيها بيوتا لسكنهم، وشيدوا فيها الجوامع تؤدى فيها شعائر الإسلام، وتقام فيها الجمع. وأصبحت التجارة ما بين الإسكندرية والسلوم ملك أيديهم، وتعد رؤوس أموالهم فيها بمئات الألوف من الجنيهات، زيادة على ما ملكوا فيها من الأرض والمزارع، والحيوانات من الإبل والغنم. كل ذلك بفضل العمل الجاد المتواصل، وما اشتهروا به من الصدق والأمانة).

أما من هاجروا إلى تونس (فقد بذلوا أيضاً من الجهد، والسعى المتواصل وراء الكسب الحلال ما هيأ لهم سعة العيش وراحة الضمير) و(من هاجروا إلى الشام وإستنبول فكان أكثرهم من الطبقة المتعلمة وسكان المدن، فكان اتجاههم لافى الحصول على الرزق إلى الوظيفة أكثر منه إلى غيرها. وقد وسعتهم دمشق وضواحيها، وفتحت لهم أبواب مدارسها، ووظائفها. ووجدوا فى رجالاتها من النخوة العربية ما هيأ لهم سبل الحياة الكريمة)، والانشغال بكسب المعيشة، وطلب أسباب الرزق (لم يحل دون اهتمامهم بالعلم، فأرسلوا أولادهم إلى الأزهر، وإلى جميع مدارس مصر ومعاهدها، ومن كان منهم فى الشام أو فى تونس أرسلوا أبناءهم أيضاً إلى دور العلم على اختلاف فنونها). وصار العلم لدى هؤلاء أداة لخدمة قضيتهم الوطنية. (وبجهودهم المختلفة ظهرت القضية الليبية فى ميدان السياسة العربية، بل والعالمية أيضاً)، وبذل المهاجرون فى تلك الديار، وخاصة فى مصر جهوداً

كثيرة لإثارة قضيتهم، والدفاع عن وطنهم، وكونوا اللجان والجمعيات والمنظمات، تارة بصورة سرية بسبب الضغوط الإيطالية، وتارة أخرى بصورة علنية. وبنضوب الحرب العالمية الثانية ودخول إيطاليا طرفاً فيها إلى جانب ألمانيا، وإعلانها الحرب ضد بريطانيا، وجد المهاجرون الفرصة السانحة، فتنادوا للجهاد، واتصل رؤساؤهم وجمعياتهم التى كانت منتشرة فى مصر وتونس والشام بعضهم ببعض، وتشاوروا فى الأمر، فقر قرارهم على العمل ضد إيطاليا والتحالف مع البريطانيين، وانتهت تلك الحرب بهزيمة إيطاليا. واحتفل المهاجرون ابتهاجاً بهزيمة عدوهم إيطاليا. وأدت التطورات السياسية فيما بعد إلى وجود مناخ دولى للمطالبة باستقلال ليبيا. وتوج جهاد الشعب الليبى بقرار من الأمم المتحدة فى ٢١ تشرين الثانى (نوفمبر ١٩٤٩) بالاستقلال. وبعد ستة وعشرين عاماً، تمكن الشيخ الزاوى من زيارة ليبيا سنة ١٩٥٠، ثم رجع إلى مصر.

أردت بهذا السرد الموجز لأكبر هجرة عرفها الشعب الليبى فى القرن العشرين أن ألفت الانتباه، وخاصة بالنسبة للقارئ الليبى، والقارئ العربى عامة، إلى ما كتبه الشيخ الطاهر الزاوى المؤرخ واللغوى والفقيه يعد من الإنجازات النادرة، حيث تقل كتابات ومؤلفات الليبيين عن تلك المرحلة. ويلاحظ الباحث ضعف الحس التاريخى، والحس التوثيقى، وغياب المذكرات السياسية، وعدم الاهتمام بهذا اللون من النشاط الفكرى والأدبى والسياسى. وهى ظاهرة سلبية نجدها تتكرر فى الجيل الذى أدرك

مرحلة الاستقلال وشارك فى السلطة، حتى إنه وإلى هذه اللحظة لم يكتب أى سياسى ليبى (مذكراته) عن تلك المرحلة. والمذكرات لها طعم خاص، ونكهة خاصة لأنها تعكس التجارب الشخصية، وتروى تفاصيل أو بعض تفاصيل الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والفنية إلخ. من مجالات الحياة.

ولهذه الأسباب جاءت جهود الشيخ الزاوى وكتاباته وكتبه تثير كثيراً من ردود الأفعال قبولاً ورفضاً وخاصة (جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب) و(جهاد الليبيين فى ديار الهجرة). أما كتبه الأخرى فمن بينها (أعلام ليبيا) و(الفتح العربى فى ليبيا) و(معجم البلدان الليبية) و(ولاة طرابلس من بداية الفتح العربى إلى نهاية العهد التركى)، وآخر كتاب صادفنى فى إحدى مكتبات لندن (مجموعة فتاوى) – طبعة ١٩٧٦.

وفى آذار (مارس) ١٩٨٦ رحل ذلك الشيخ الجليل، من عالم الشهادة والفتوى والمواقف، إلى عالم الغيب والجزاء، وترك وراءه رصيداً من المجد والذكريات العظيمة، وكتب عنه التاريخ أنه لم ينحن ولم يضعف فى عهدين: عهد الملك إدريس وعهد العقيد القذافى. وظل مثلاً شامخاً متمسكاً برأيه وفتاويه. وسمعت أن الأستاذ علي مصطفى المصراتى أبَّنه بما يليق به من الخطاب البليغ، كما أبَّنه آخرون.

(*) صحيفة الحياة، الثلاثاء ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٢.... هذه المقالة كتبت قبل صدور مذكرات الأستاذ مصطفى بن حليم وقبل صدور مذكرات السيد محمد عثمان الصيد.

مذكرات مصطفى بن حليم
تحرير لشهادة ميلاد المذكرات السياسية الليبية

(صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسى) أول مذكرات سياسية يكتبها سياسى ليبى، كان أحد أبرز رؤساء الحكومات الليبية فى عهد النظام الملكى.

عندما وقع الانقلاب كان السيد مصطفى بن حليم يزاول النشاط الاقتصادى الخاص فى المجالات البترولية، والهندسية. ومن حسن حظه أنه كان خارج البلاد ليلة وقوع الانقلاب. وهو منذ ذلك الوقت يعيش مهاجراً.

من يقرأ المذكرات سيواجه لأول مرة قدراً هائلا من المعلومات، عن الصراعات فى مؤسسات الدولة، وبين مراكز القوى. بين رجالات الديوان الملكى ومالهم من نفوذ وحظوة لقربهم من الملك، وبين رجالات الحكومة وما تخوله لهم سلطاتهم من صلاحيات . قبل صدور هذه المذكرات وما فيها من أسرار وخفايا لم يكن إلا قلة من الناس فى ليبيا يعرفون حجم وحقيقة ما جرى طوال سنوات ذلك النظام . . والأجيال الجديدة لا تعرف شيئا عن

إدارة السلطة فى تلك المرحلة، ولا تعرف كثيرا عن الأسماء والشخصيات الحقيقية التى كانت تقف وراء صنع القرارات، وإصدار المراسيم، أو إعاقة إصدارها وربما تنظيم المسيرات، وممارسة الضغوط لجعل الملك يتراجع عن سياساته وقراراته . كانت الناس فى ليبيا فى تلك السنوات تسمع الكثير من الإشاعات، عن دور فلان أو علان . لكن الصورة لم تكن واضحة . ثم جاءت دورة الانقلاب، وركزت وسائل إعلام الانقلابيين على بعض الشخصيات وبعض القضايا، ولكن فى إطار الدعاية السوداء . ولم تكن هناك موضوعية ولو نسبية يمكن أن يعتمد عليها السامع أو القارئ . والآن وبعد سنوات طويلة من نهاية النظام الملكى (٢٣ عاما) وبعد مدة أطول من استقالة حكومة السيد ابن حليم (٣٦ عاما) تطرح أمام القارئ جملة من الوثائق والمعلومات والأسرار .

كانت مرحلة وزارة ابن حليم (١٩٥٤-١٩٥٧) مليئة بالأحداث والتطورات الثقافية والسياسية، سواء على المستوى الداخلى أو على مستوى المنطقة العربية . كانت ليبيا فى تلك السنوات تتعثر فى خطاها وهى فى بدايات الاستقلال . ومن سوء الحظ، أو سوء المخططات الاستعمارية أن ليبيا بدأت بالنظام الاتحادى (الفيديرالى) حيث نشأت ثلاث ولايات: طرابلس وبرقة وفزان . وكان لكل ولاية مجلس تنفيذى يمثل حكومة، يقابله مجلس تشريعى . وعلى المستوى الاتحادى هناك الحكومة

الاتحـــادية، ومـــجلس الأمـــة ويتكون من مـــجلسى (النواب والشيوخ). وتسبب هذا النظام فى خلافات حول تنازع السلطات بين هذه المؤسســات . وكـشف هـذا النظـام ومـا أحـدثه من صـراعـات عن أزمـات دسـتـورية أطاحت بإحـدى الحكومـات الاتحادية، هى حكومة السيد محمد الساقزلى التى لم يتجاوز عمرها الشهرين، وتشكلت بعدها مباشرة حكومة السيد ابن حليم .

اشتد النزاع بين الحكومة الاتحادية وحكومات الولايات، بل وبين الديوان الملكى والحكومة الاتحادية على الاختصاصات. وبعض مواد الدستور كان ينقصها الوضوح . فتواصلت مثل هذه الإشكالات إلى أن ألغى النظام الاتحادى، واختفت الولايات ومؤسساتها، وتغير اسم الدولة من (المملكة الليبية المتحدة) إلى (المملكة الليبية) وقسمت البلاد إداريا إلى عشر محافظات وكان ذلك سنة ١٩٦٣ فى عهد حكومة الدكتور محيى الدين فكينى .

ومن بين أسرار ومفاجآت الكتاب الكثيرة ما ذكره السيد ابن حليم بشأن محاولاته فى جولتين سنة ١٦٥٤ و ١٩٦٤ إقناع الملك بإجراء تعديلات جوهرية فى الدستور بحيث يتغير نظام الحكم من ملكى إلى جمهورى، وأن يصبح الملك رئيسا للجمهورية مدى الحياة، وكانت المحاولة تهدف إلى ضمان الانتقال الرتيب من نظام إلى نظام .

لكن محاولات رئيس الوزراء ابن حليم فشلت بعد أن تسربت معلوماتها وقامت قوى سياسية ذات نفوذ لدى الملك بإفشالها، وذلك بالضغط على الملك . وأوضح السيد ابن حليم تلك القوى ومنهم السيد حسين مازق .. أما السبب الذى دفع ابن حليم إلى التفكير فى هذا التغيير الدستورى حسب روايته فى مذكراته، فيرجع إلى سببين جوهريين: أحدهما للتخلص من النظام الاتحادى الذى نشأت عنه سلسلة من الأزمات والتناقضات والكلفة المالية العالية، والثانى الخلاف الحاد الذى بدأ يظهر بين أفراد العائلة السنوسية، وتردى علاقات الملك مع بقية أفراد عائلته. هنا يضع ابن حليم أصبعه على مكان الأزمة، ونقطة فى النظام الملكى الليبى الذى سقط بسهولة على رغم وجود ولى للعهد، ووجود مجلس للأمة بيده ما يمكنه من التصرف لنقل السلطة بصورة دستورية .

ومن الأوضاع الداخلية ومشكلاتها ومساربها وتفصيلاتها تنقلنا المذكرات إلى جو العلاقات الدولية .... كانت ليبيا فى تلك الفترة لا تزال مقيدة بالحضور الاستعمارى وبالمعاهدات وبالقواعد الأجنبية البريطانية والفرنسية والأمريكية ... وكانت لا تزال فى حاجة إلى المساعدات الأجنبية لتغطية حاجاتها المالية... وفى تلك الظروف وقع العدوان الثلاثى على مصر، فكانت له مضاعفاته وآثاره على الحياة السياسية فى ليبيا .

ومن بين الأحداث المهمة والخطيرة تفجر الثورة الجزائرية

المسلحة فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٤، وما أنزلته من مسؤوليات وطنية وعربية على كاهل النظام الليبى، والحكومة الليبية، واستطاعت الحكومة أن تؤدى دورها الإيجابى . ويبدو أنه من حسن الحظ أن المواقف الغربية فى ذلك الوقت لم تكن متجانسة . فالولايات المتحدة لم تكن راضية عن العدوان الثلاثى على مصر كما لم تكن راضية عن الحضور البريطانى والفرنسى فى كثير من المناطق . وكانت الولايات المتحدة تعمل لتكون البديل للاستعمار القديم، ولكن بأساليب جديدة ... إذن المعادلة السياسية كانت فى صالح ليبيا إلى درجة ما . واستطاع الساسة الليبون توظيف التناقضات الدولية، والحرب الباردة بما يحافظ على كيان ليبيا، ويحافظ على توازن علاقتها فى فترة بدأت فيها شركات النفط البريطانية والأمريكية تستعد لمشروعات النفط، والاستثمارات العملاقة . وجاء قانون سنة ١٩٥٥ كتطور تشريعى مهم . ويكشف السيد ابن حليم الصراع الذى كان يدور حينها بين ما كانت تسعى إليه الشركات البريطانية من امتيازات خاصة لها دون غيرها من الشركات الأخرى، وسمته (حق الأولوية) وما كانت الشركات الأمريكية تطالب به من ضمان المنافسة الحرة.

إن مذكرات مصطفى بن حليم ليست حدثاً عارضاً . فمهما قيل فيها، ومهما سيقال حولها، فإن صدورها يعتبر بحق تحرير شهادة ميلاد للمذكرات السياسية فى ليبيا، وبذلك فهى تكتسب قيمة تاريخية خاصة إنها جاءت لتسد فراغا كبيرا فى

المكتبة الليبية . ولعلها تثير رغبة وحماس السياسيين الآخرين لمزيد من الأعمال التاريخية، وإثراء الحياة الفكرية والثقافية ..... وتعكس صفحات الكتاب أنواع الصراعات السياسية التى سادت تلك الفترة كما أنها تعكس مستوى تلك الصراعات وهى فى عمومها صراعات شخصية أو جهوية أو قبلية وتعتبر معيارا للثقافة السائدة فى تلك السنوات من ميلاد دولة ليبيا الحديثة .... وقد أحدث الكتاب ردود أفعال كثيرة من بينها تعليقات كتبها السيد محمد عثمان الصيد (رئيس حكومة العهد الملكى فى صحيفة الشرق الأوسط . وكتاب للأستاذ المحامى والصحفى على الديب بعنوان (مؤامرة ابن حليم على الديمقراطية فى ليبيا ١٩٥٤) وشكلت تلك التعليقات وغيرها بعدا وتواصلا للصراع السياسى الذى دار خلال العهد الملكى ما أكد أن الملك كان هو الضمان الأساسى لاستقرار الحكم حتى بلغ الملك إدريس سن الشيخوخة وبلغ معها الملك منتهاه ... لكن مجال الكتابة والبحث فى تلك المرحلة وخاصة السنوات الأخيرة منها مازال يتطلب الكثير من العمل والكثير من المذكرات والكشف عن الكثير من الأسرار.

* * *

---

* صحيفة الحياة .. الجمعة ٥ شباط (فبراير) ١٩٩٣ الموافق ١٤ شعبان ١٤١٣هـ / العدد ١٠٩٥٢ .

الفصل الثالث

ليبيا ما بعد ١٩٦٩
ودوامة الصراع

الفوضى الضاربة
أسقطت معظم ثوابت
المجتمع الليبى الثقافية

يظل البناء الثقافى الاجتماعى فى أى مجتمع إنسانى أساس هذا المجتمع ومصدر قوته وتماسكه واستقراره . وهو درعه وحصنه ضد كل عوامل الخطر والتهديد . وفى ليبيا كان ولايزال النسيج الثقافى والتشابك الاجتماعى يؤكدان ظاهرة الانسجام على رغم ما تعرضت له البلاد وسكانها من تهديدات ومخاطر خارجية بلغت ذروتها فى الاحتلال الإيطالى الذى بدأ عام ١٩١١ وتواصل حتى هزيمة إيطاليا فى الحرب العالمية الثانية وانسحابها من ليبيا سنة ١٩٤٣ . وعلى رغم محاولات الاستعمار الإيطالى العسكرية والتعليمية والاقتصادية والسياسية كلها، وعلى رغم برامجه المتواصلة لأكثر من ثلاثين سنة لم يتمكن من تذويب الشخصية العربية الإسلامية للشعب الليبى، استمرت القدرة على مقاومة حركة الطلينة أو التغريب الثقافى، فلماذا ؟

إن دراسة تاريخ ليبيا الإسلامى تجعل الإجابة واضحة . فسكان ليبيا يدينون بالإسلام كلهم باستثناء بعض الجاليات

الأوربية واليهودية التى لا تمثل نسبة تذكر، حتى فى تلك المرحلة. ويعكس هؤلاء السكان تنوعاً فى الأجناس، ومعظمهم من العرب الذين جاءوا إلى ليبيا واستقروا فيها منذ بدايات الفتح الإسلامى، وتضاعف عددهم فى القرن الحادى عشر الميلادى بقدوم هجرات بنى هلال، وبنى سليم . ويشمل التنوع السكانى البربر، والطوارق، والتبو والزنوج وقليل من العرقيات الأخرى التى ذابت فى المجتمع الليبى العربى المسلم. وجميع أبناء وبنات هذه الفئات يتكلمون العربية . وبفعل عنصرى الدين واللغة قويت الصلات والروابط الثقافية والاجتماعية، وتداخلت العلاقات والأنساب .

فسواء فى عهد الخلافة العثمانية، أو فى عهد إيطاليا (مع الفرق بين الحالتين) كان (المسجد) وكانت (الزاوية) يمثلان قلاعا يتحصن بها المجتمع، ومنها يستمد الغذاء الروحى والفكرى، ويجدد نشاطه الاجتماعى والاقتصادى . وهنا تبرز أهمية الحركة الإسلامية الإصلاحية (الحركة السنوسية)، التى بدأت نشاطها فى ليبيا ببناء أول زاوية فى مدينة البيضاء سنة ١٨٤٢ . ويذكر بعض المصادر أن عدد الزوايا السنوسية فى ليبيا بلغ ٩٥ زاوية حتى سنة ١٩١١ . وكانت للزوايا وظائف تعليمية واجتماعية واقتصادية ودفاعية . وقد واجهت الحركة السنوسية بسبب نشاطها وتوجهها هذا رصداً ومراقبة من الدول الأوروبية، خصوصاً من إيطاليا وفرنسا . ثم تطورت المواجهة إلى حال حرب . ومن محاسن تلك

المرحلة من تاريخ العرب والمسلمين أن لا وجود للدولة القطرية وأن النزعة القومية العرقية كانت ساكنة . فكان محمد على السنوسى، مؤسس هذه الحركة، ينتقل من الجزائر إلى المغرب فتونس ثم ليبيا ومصر، ثم إلى الحجاز من دون حواجز جمركية، أو حاجة إلى تأشيرة دخول . إلى أن استقر أخيراً فى ليبيا، وتابع أولاده وأحفاده نشاطهم الثقافى والسياسى الذى انتهى عند إدريس السنوسى الذى تولى الملك فى ليبيا بين ١٩٥٠ – ١٩٦٩ .

كانت مرحلة الاستعمار الإيطالى أسوأ فترة تاريخية مرت على ليبيا فى النصف الأول من هذا القرن، لكونه نظاماً ديكتاتورياً فاشياً . وبسبب هذا النوع من الاستعمار، وبسبب الحرب الطاحنة والمقاومة الجهادية الليبية، وبسبب عوامل الجفاف والقحط تدنت الحياة الثقافية وذبلت . وعندما استقلت ليبيا سنة ١٩٥١ كانت نسبة الأمية تقدر بنحو ٩٠ فى المائة من مجموع عدد السكان الذين لم يكن يتجاوز عددهم فى ذلك الوقت مليون نسمة . وكان عدد الليبيين الموجودين فى البلاد والحاصلين على تعليم جامعى لا يزيد على ١٤ شخصاً .

هكذا كانت ليبيا عشية الاستقلال منهكة ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً . وجاء الاستقلال ليبعث روحاً جديدة، ويعيد للشعب الأمل فى حياة حرة عزيزة ولو بصورة نسبية . وبدأت اهتمامات الدولة منذ سنواتها الأولى بإقامة المدارس، والعناية بالمساجد والزوايا، واستعانت بالمدرسين والوعاظ من مصر، فانتعشت الحياة

الثقافية فى جو سياسى كان يتصف بكثير من التعقل والمرونة والإخلاص .

وكان الملك إدريس من الحكام القلائل الذين لم تغير السلطة سلوكهم وبساطة حياتهم . وتميزت تلك الفترة رغم قصرها (١٩٥١-١٩٦٩) بالنمو والازدهار طبقاً للسياق التاريخى وطبقاً للظروف التى كانت تمر بها ليبيا والعالم العربى والإسلامى على حد سواء . ولكى تتضح أهمية تلك المرحلة، وأهمية السياسة الثقافية فيها، نتجه نحو مجالات الثوابت فى بناء المجتمع الليبى . إذ تؤكد كل الدراسات والنظريات التربوية والتعليمية والاجتماعية والسياسية على أن البيت أو (الأسرة) والمدرسة والمسجد والصحافة والإعلام بشكل عام هى أهم المجالات التى فيها تغرس الثوابت الثقافية وتسقى وتصقل . وفى ليبيا خلال مرحلة النظام الملكى، كانت هذه المجالات موضع عناية مناسبة، تخصص لها الأموال اللازمة أو الممكنة . وكانت حرية التعبير موجودة بقدر مناسب كذلك . ومن حسن حظ الأجيال التى تعلمت فى المدارس والمعاهد المتوسطة، أو فى الجامعة الليبية، وجامعة محمد على السنوسى الإسلامية أنها تلقت تعليمها على يد خيرة المدرسين والأساتذة الجامعيين الذين برزوا فى ميدانهم فى جامعات القاهرة والإسكندرية وبغداد . ووجدت المساجد فسحة كاملة فى الخطابة والتدريس . وكانت منها تخرج المظاهرات السياسية تطالب بجلاء القوات البريطانية والأمريكية، وتصفية القواعد الموجودة آنذاك . وكانت الخطب الحماسية الوطنية تنقل

أحياناً عبر الإذاعة الرسمية، وتذاع كاملة ومن دون أن تتدخل السلطة لإيقافها .

وكانت المساجد عامرة بحلقات الدرس، وهى حلقات للتثقيف العام فى شؤون الدنيا والدين . ومن أبرز ملامح تلك المرحلة النشاط الصحافى وحرية التعبير، إذ بلغ عدد الصحف والمجلات الخاصة فى الفترة بين ١٩٥١-١٩٦٩ حوالى خمسا وعشرين صحيفة ومجلة .

وكانت صحف الحكومة ومجلاتها وإذاعتها وتلفازها مفتوحة أمام كل الكتاب والمثقفين والعلماء، يقول كل منهم رأيه ويعبر عن آرائه بحرية واطمئنان . وعرفت تلك المرحلة نشاط النوادى الرياضية الثقافية، وجمعية الفكر . وكانت جميع هذه المراكز الإشعاعية الثقافية تصب فى عمومها فى اتجاه التأكيد على الثوابت الثقافية فى المجتمع .

ومن نقاط الضعف فى تلك المرحلة أنها لم تستوعب ما يجرى حولها من تغيرات ثقافية، ومن ظهور اتجاهات سياسية هبت رياحها على كل المنطقة العربية، ووصلت إلى ليبيا ومدارسها وجامعاتها ومثقفيها وأدبائها . أصبحت ليبيا فى مرحلة الخمسينيات وفى ظل حكم ضعيف بؤرة خصبة لنمو الاتجاهات الثقافية والسياسية القادمة من المشرق العربى، من مصر والعراق ولبنان وسورية . وانتقلت كل الاتجاهات الموجودة فى تلك البلدان إلى ليبيا، ولم تتحرك السلطة السياسية فى ذلك الوقت لتنظيم تلك الاتجاهات بالسماح لها بتكوين الأحزاب، وإن غضت عنها

النظر، وتركتها تمارس نشاطها مع رصدها ومتابعتها، وإيقافها أحياناً، واتخاذ إجراءات رسمية بشأنها . كما حدث مع البعثيين والقوميين . ومهما كانت سلبيات تلك الفترة وثغراتها، فإن المجتمع الليبى بفضل أجواء الحرية والديمقراطية النسبية وبفضل أموال النفط وتوظيفها كذلك بصورة معقولة نسبياً، ظل المجتمع يلتزم أسساً وثوابت ثقافية إطارها العام الأصول العربية الإسلامية فى شىء من الاعتدال والواقعية . وعلى رغم ذلك كانت نخب المجتمع ، وقطاعات واسعة من الجماهير تمد بصرها، وتفتح آذانها لما يجرى، وما يقال وراء الحدود . كانت تلك القطاعات تعتقد أن وراء الحدود ما هو أحسن، وتريد أن يقع فى ليبيا ما وقع فى مصر أو فى العراق .

وفى سنة ١٩٦٩ وقع التغيير فى ليبيا، انتهى نظام الحكم الملكى، وانتهى معه دور الحركة السنوسية فى المنظور السياسى بالذات . وقع الانقلاب، ورحبت به الغالبية الساحقة من الشعب، وعملت السلطة الجديدة على فتح أبواب الحركة والنشاط والتفاعل أمام الناس فى السنتين الأوليين، وبدرجة نسبية، وعلى رغم وجود الأخطاء، وعلى رغم الارتباك فى إدارة شئون الدولة والمجتمع . كان هناك تبريرات – للمراقب تنطلق من جدة التجربة، ومن صغر الشبان الذين يمارسون السلطة من دون خبرة سياسية .

وظلت هناك تحفظات وتخوفات من جانب شريحة من المثقفين بسبب أخطاء الانقلابات العسكرية العربية عموماً . وتبين فيما بعد صدق تلك التوقعات . فقد ظهرت مؤشرات عدة تدل

على نوايا السلطة، وتزيد من احتمالات تطويق الاختيار الديمقراطي وخنقه، وتضييق مساحة الحريات العامة، والتدخل المباشر في الاعتداء على ثوابت المجتمع الثقافية . وكانت (ندوة الفكر الثوري) سنة ١٩٧٠، وصدور قانون تجريم الحزبية ١٩٧٢، وخطاب زوارة، وإعلان ما سمي بالثورة الثقافية والإدارية سنة ١٩٧٣ .

كانت هذه الإجراءات ضربة قاصمة، ونكبة ثقافية سياسية أصابت المجتمع الليبي في شرايينه الحية . وزحفت السلطة ولجانها لا لتعيد تنظيم الحياة الثقافية والسياسية من حيث الأساليب وجدية التغيير، وتفعيل المجتمع، ولكنها تصرفت بلغة وسلوك لا يدعوان إلى الاطمئنان . وظهرت شعارات وموروث صراعات أنزلت الرعب في نفوس الناس، وتفشى لون جديد من إدارة الصراع اتسم بالعنف، وشمل جميع القطاعات الثقافية والسياسية والاقتصادية .

وتحولت السلطة إلى حال من الفوضى تحت شعار (السلطة الجماهيرية)، وأصبحت ثوابت المجتمع مهددة بالتفكك والتحلل والاختلال، وفقدت مراكز الإشعاع الثقافي ومنابع الفكر، من جامعات ومساجد وصحافة، حصانتها واستقلاليتها، وتدخلت السلطة في كل شيء يمثل تلك الثوابت. وهنا لجأ المجتمع إلى الانكفاء إلى آخر ملجأ له عن طريق الانسحاب والصمت وعدم المبالاة وجعل همه الوحيد ضمان لقمة العيش

* صحيفة الحياة، الأربعاء ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٢ .

والتذرع بالصبر والانحناء لكل العواصف المتلاحقة لأنه لا يملك أى وسيلة أخرى . وعندما أدركت السلطة عدم جدوى تلك الأساليب وخطأها، بدأت تتراجع أحيانا عنها، وسجلت سنة ١٩٨٨ تحولاً جزئياً فى اتجاه التخلى عن بعض السياسات السابقة وخصوصاً فى مجال التنقل والسفر، وفى مجال التجارة، إلا أن هذا الانفراج الجزئى بقى مشلولاً بسبب الضيق الاقتصادى الذى تعانى منه الأسرة الليبية عموماً .

وبقيت السلطة عاجزة عن إدراك خطورة الشروخ التى لحقت بالمجتمع وثوابته وقيمه . وظلت عاجزة عن تسيير أبسط المؤسسات، وأصغر المصانع، لأن المواطن فقد ثقته، وفقد مصلحته، بعد أن تحطمت موازين العدل وغابت أبسط الأسس فى تأمين حق الدفاع عن المعتقلين بسبب قناعتهم الفكرية .

ليبيا الآن تمر بأحرج فترة تاريخية بسبب الفوضى الضاربة التى تهدد بسقوط آخر خطوط الدفاع عن ثوابت ومقومات مجتمع لا هوية له إلا عروبته وإسلامه وإنسانيته، ولا مصدر لاقتصاده إلا النفط الذى لا مردود له عند المواطن الليبى إلا فى حدود ضيقة ولا تتناسب مع كميات النفط ومبيعاته الضخمة . فأى مستقبل تتجه نحوه ليبيا ثقافة وثروة ومصيراً .....؟ إن أى مراقب متتبع لأوضاع التعليم والإعلام والاقتصاد لا يحتاج إلى خبرة كبيرة لكى يكتشف الكارثة التى حلت بالمجتمع الليبى وأصابته بالتخلف والانحطاط بسبب سوء إدارة شئون البلاد سياسيا وثقافيا بل وفى كل المجالات .

الليبيون منذ عام ١٩٦٩ ...
أى نوع من الصراع يخوضون ؟

منذ عام ١٩٦٧ بدأت إرهاصات التغيير تلوح فى أفق السياسة الليبية، وصار التغيير متوقعا ولكن مالم يكن متوقعا أن يحدث ذلك التغيير على أيدى الضباط الصغار ومنهم الملازم معمر القذافى . وإذا كانت مفاجآت الانقلابات فى العالم العربى كثيرة، فإن مفاجأة نجاح الضباط الوحدويين الأحرار فى ليبيا ليلة الأول من سبتمبر ١٩٦٩ كانت إحدى تلك المفاجآت، وهى إن دلت على شيء فإنما تدل على ترهل وضعف مؤسسات دولة الاستقلال . ولم تكن تلك المفاجأة هى الوحيدة فى تاريخ الانقلاب أو الثورة ـ ليس المهم العناوين والتسميات ولكن المهم الأفكار والتطبيقات ثم النتائج ـ التى يقودها العقيد القذافى لأكثر من ثلاثة عقود بل إن المفاجآت استمرت الواحدة تلو الأخرى وجميعها من صنع العقيد القذافى الذى أثبت أنه كان يتقدم على رفاقه ذكاء وفهما، وكان الوحيد الذى يعرف ما يريد، وتجلى ذلك فى عقده ندوة الفكر الثورى عام ١٩٧٠ وفى خطاب زوارة ١٩٧٣ حيث أعطى الانطباع الواضح لرفاقه ـ حسب رواية أحد أعضاء مجلس الثورة السابقين ـ أنه ذاهب لإعلان استقالته إثر خلافات

داخل مجلس قيادة الثورة، لكنه أكد لهم بداية الثورة الثقافية والإدارية وما تقتضيه من تطويق بل وحبس لمئات من المثقفين الخارجين فى رأيه عن أهدافه أهداف الثورة ... ثم جاءت مفاجأة الكتاب الأخضر ١٩٧٦ وما يتضمنه من تصورات وأفكار لتحديث المجتمع الليبى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . وأنشأ اللجان الثورية ١٩٧٧ لتكون حزب السلطة وذراعها المدنى إضافة إلى حزب السلطة العسكرى وهو الجيش .... هذه هى أهم الحلقات التى ميزت فكر وفعل العقيد القذافى فى العقد الأول من حكمه وبها استطاع أن يستمر فى مسيرته وأن يضيف الكثير من المفاجآت الأخرى . واستخدم كل هذه الأدوات فى إدارة الصراع السياسى والثقافى يسنده البترودولار الليبى فى مجتمع فقير ويعانى من الجهل ومن سلبيات ثقافة القبيلة ... ورغم كل الإمكانيات التى أصبحت ملك يديه لم تكن مسيرة هذه العقود الثلاثة مسيرة مريحة أو ناجحة أو مقبولة من الشعب الليبى، ولم يكن الصراع سهلا ومفروشا بالبسط، وبرزت صعوبات كثيرة أمام تلك السياسات ومن تلك الصعوبات ظاهرة المعارضة التى بدأت من العسكريين ومن رفاق العقيد واتسعت لتشمل الطلبة والنخب الثقافية والسياسية ورجال الأعمال والمهنيين، وهاجر كثيرون من البلاد رفضا لما يجرى فى أرض الوطن وخوفا من الملاحقة والسجون والإعدامات . وفى الخارج تكونت العديد من التنظيمات السياسية المعارضة وظل تأثيرها محدودا خاصة بعد أن

أجبر النظام على تغيير مواقفه وسياساته الخارجية وصار يعطى التنازلات السياسية إقليميا ودوليا، وكسب النظام من خلال هذه التنازلات مكاسب جعلته أكثر قبولا لدى المجتمع الدولى بينما صارت جماعات المعارضة تترك مواقعها الإقليمية بالذات لأن موازين المصالح قد تغيرت لصالح النظام، ورغم هذه المكاسب فى السياسة الخارجية لم تصاحبها تطورات إيجابية فى داخل البلاد، ولم تتجه السلطة نحو الاهتمام بحل مشكلات المواطن ورعاية شئونه التعليمية والإدارية والمعيشية والصحية والقضائية والأمنية، وأدى هذا الإهمال إلى تراكم تلك المشكلات الأمر الذى وسع من الهوة بين ما يريده الشعب الليبى وبين ما تقوله وتفعله السلطات المسئولة عن إدارة شئون البلاد من القمة إلى قاعدة المؤتمرات الأساسية واللجان الشعبية . ومن يتابع القناة الفضائية وهى قناة رسمية ويشاهد ما تطرحه من صور الفساد المالى والإدارى لا يملك إلا أن يشعر بالأسى والحزن والغضب للحال التى وصل إليها المجتمع الليبى .

وها هو نظام الحكم فى ليبيا يقترب من إنهاء أربعة وثلاثين عاما وتشير الدلائل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية على غياب فعالية الإنسان الليبى وعلى غياب دوره فى بناء ليبيا الحديثة على أسس تتناسب مع دولة نفطية غنية وتتناسب مع التطورات العلمية والسياسية التى يشهدها عالم القرن الواحد والعشرين .. هذا القرن الذى يتسم باتساع نفوذ وتأثير أكبر ثورة

أبدعها العقل الغربى وهى ثورة (المعلومات) التى تفجرت مع أواخر القرن العشرين وكانت شبكات الإنترنت والهاتف المتنقل (الموبايل) وجهاز الكمبيوتر والقنوات الفضائية من أبرز معالمها.... وتتوقع المؤسسات العلمية المتخصصة فى تطوير هذه التقنية المزيد من التقدم المركب السريع .... وبقدر ما يتسع ويتفرع هذا التقدم بقدر ما تزداد الهوة بين المجتمع الليبى والمجتمعات التى تصنع التقدم ومنها مجتمعات كانت تعد من العالم الثالث ... فالمعلومات المتوفرة تقول إن عدد الليبيين الذين يستعملون الإنترنت حتى العام الحالى (٢٠٠٢) خارج المؤسسات الحكومية لا يتجاوزون خمسة عشر ألفا، والمدارس الليبية بكل مستوياتها ما تزال تفتقر إلى الحد الأدنى من عدد أجهزة الحاسوب .... والمواطن الليبى ما زال لا يتمتع بالحرية الكاملة فى البحث والاطلاع على ما يشاء من مواقع الإنترنت ... إذن هذا المعيار الذى يستدل به الآن على مستوى التطور يؤكد أن ليبيا ستكون فى قائمة الأقل استعمالا لأنجح وسيلة تعليمية فى هذا الزمن المتوثب بفعل الكمبيوتر وشبكة الإنترنت ....

التقدم كما التخلف حالة نسبية فى مقاييس الدراسات المقارنة بين أوضاع الشعوب أو الدول من ناحية الرفاه الاقتصادى والاجتماعى أو من ناحية التقدم العلمى والحضارى أو من ناحية الاستبداد والديمقراطية .... ومن المؤكد أن الرفاه الحقيقى المستقر والمتواصل لأجيال لا يكون إلا نتيجة للتقدم العلمى والاقتصادى

القائم فى ظل أنظمة مستقرة وعادلة فى شتى مجالات الحياة ....
فليبيا اليوم يصل عدد سكانها إلى نحو خمسة ملايين ونصف المليون وتبلغ نسبة الشباب أكثر من ستين فى المئة ويقدر دخلها بنحو عشرين مليار دولار تأتى من مبيعات النفط ومن الصناعات النفطية ومن الاستثمارات فى الخارج . وهناك من يذهب إلى أن دخل ليبيا السنوى يفوق هذا التقدير ويصل فى بعض السنوات السمان نفطيا إلى أكثر من خمسة وعشرين مليار دولار ... وإذا كان التقدم فى هذا العصر يحسب ويقاس بمستوى الخدمات التعليمية والصحية والمواصلات فلا شك أن فقر ليبيا ومدارسها بالذات فى مجال خدمات الكمبيوتر والإنترنت يضعها فى حالة مخيفة لأن الأجيال الحالية والمقبلة ستظل متخلفة عن غيرها من المجتمعات الإنسانية ومنها المجتمعات العربية المجاورة فلماذا تأخر الشعب الليبى حتى الآن فى الإقدام بقوة نحو بناء دولة عصرية وبناء مجتمع ينعم بالرفاه والازدهار .... هل الليبى يحمل وراثيا أسباب التخلف والانحطاط ؟ هل الليبى أقل ذكاء وقدرة عن غيره؟... هل الليبى لا يستحق أن يلحق بركب الحضارة الإنسانية وأن يواكب التطورات العلمية المتلاحقة ؟!! كلا إن الليبى مثل أى إنسان من سكان بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط ... ومثل أى إنسان فى العالم المؤهل للتقدم ولا يقل ذكاء وقدرة على الإبداع والإنتاج إذا توفر له المناخ الثقافى والسياسى المناسب والإدارة المناسبة .... لماذا إذن نراه يعيش على هامش هذه

التحولات الإنسانية العظمى ولماذا نراه بائسا وخائفا من اقتحام ميدان النهضة التكنولوجية ؟؟؟؟ .

هل هناك مؤامرة على الشعب الليبى وثروته ؟ البعض يحلو له أن يتكأ على هذا الأمر ويجعل منه سببا لما يجرى فى البلاد من خراب ودمار وهو ما تعكسه بين الحين والآخر جلسات ومناقشات المؤتمرات الشعبية ومؤتمر الشعب العام فى اجتماعاته الطارئة والعادية .... وهو ما تعكسه الفضائية الليبية والصحف الليبية حيث لا وجود للرأى الآخر ولا جود لتنوع الأفكار السياسية والثقافية والاقتصادية .... إننى لا أؤمن بنظرية المؤامرة وأخطر فكر أن يظل وهم المؤامرة هو المبرر والمفسر لما حل بالبلاد من خراب ودمار .

فالحياة تحكمها قوانين الصراع والتدافع وتحكمها سنن المكر والمكر المضاد ويحكمها الصراع بين دوافع الخير والشر وتحكمها المصالح وما تنطوى عليه من نوازع وأهداف مشروعة وغير مشروعة ... إن مسئولية ما يجرى فى ليبيا وما وصل إليه الحال من تأخر هو مسئولية كل الليبيين وخاصة الفئات المتعلمة والتى تتولى المسئولية خلال العقود الثلاثة الماضية بالذات وفى مقدمة المسئولين عن هذا التخلف القيادة السياسية ...

ولا بد أن نشير إلى أن الأوضاع البائسة التى وصل إليها المجتمع الليبى تكشف لنا أيضا عن ضعف منظومة القيم

الاجتماعية ومنها قيم التدين الصحيح المستنير وقيم العزة والكرامة والشرف والأمانة والشجاعة والصدق وحب العمل والإحساس بالمسئولية . فكل مجتمع تذبل فيه هذه القيم يصبح عرضة للتفكك والاضمحلال ويصبح فى مجموعه غثاء كغثاء السيل و (كما تكونوا يولى عليكم ...) إن الصراع الدائر فى البلاد منذ وقوع الانقلاب العسكرى عام ١٩٦٩ كان صراعا سلبيا فى أغلب جوانبه وظل كذلك حتى بعد مرور أكثر من ثلاثة عقود، وهيمنت السياسات والخطط الأمنية على عقول أهل السلطة حتى أصبح كل أمر من أمور الدولة ينظر إليه من زاوية أمنية وعلى هذا الأساس جرى تفكيك الجيش، وتفكيك الجامعات، وتفكيك الإدارة، وتفكيك مصادر القوة الاقتصادية ومنها التجارة .... ودخل كل المجتمع الليبى فى دوامة الصراع السياسى الثقافى، واكتوت كل فئات المجتمع بنار هذا الصراع الذى تجاوزت أخطاره ومفاسده كل الحدود، وعرفت ليبيا المحاكم العسكرية والاستثنائية، وعرفت الإعدامات دون محاكمات قانونية، وشاهد المواطنون المشانق فى الساحات العامة وعلى شاشة التليفزيون، واستهدفت المحاكم والمشانق العسكريين والمدنيين والكبار والصغار، وشملت الطالب الجامعى والأستاذ الجامعى والضابط العسكرى من الذين صنفوا فى قائمة المعارضين للسلطة الحاكمة واتهموا بالخيانة والعمالة أو اتهموا بالحزبية، وبعض الذين أعدموا أو اختفوا لم يرفعوا سلاحا فى وجه السلطة ولم يخرجوا

فى مظاهرات ضد السلطة ... وهناك من أعدموا داخل السجن لأنهم احتجوا على سوء أوضاع السجن (مذبحة سجن بوسليم)[1] ورغم كل هذه القسوة فقد ظل الشعب الليبى يرفض السلطة القائمة فى البلاد وظل يعارضها بطرق متعددة من الداخل ومن الخارج، وظل ملف حقوق الإنسان الفكرية والسياسية والاقتصادية أخطر ملف فى تاريخ الصراع بين الحاكم والمحكوم وانتقل هذا الملف إلى الدوائر الدولية، واستطاعت المعارضة بإمكاناتها المحدودة وخبرتها القصيرة أن تطور نشاطها وأن تجعل من ملف حقوق الإنسان أكبر دليل على ضعف شرعية السلطة الحاكمة ... وسجل الصراع بين السلطة ومعارضيها بدائية واضحة فى تعامل كل طرف مع الطرف الآخر فمن يحكم تجاهل ثقافة قرن الاستقلال وحقوق الإنسان والنظم الديمقراطية ومن يعارض جهل أو تجاهل ظاهرة الانقلابات العسكرية العربية التى حولت الدولة ومؤسساتها إلى دولة بوليسية قمعية لا حدود لظلمها ووحشيتها مستخدمة كل الأموال والمؤسسات وخبرات تلك المؤسسات فى ضرب أى تحرك طلابى أو عسكرى أو سياسى . ونتج عن تلك البدائية والسطحية صراعات سياسية وثقافية تصطدم وتتناقض مع قوانين الصراع فخسر الجميع معركة الصراع فلا الدولة استطاعت أن تبنى نفسها وأن تفرض احترامها وأن تتعايش مع معارضيها

---

(١) كان من بينهم : الشاب أبو بكر أحمد الناكوع ابن عم المؤلف والشاب : أبو بكر صالح عبد السلام ابن أخت المؤلف .

ولو فى هامش محدود ... ولا المعارضة استطاعت أن تفرض خيارتها أوأن توحد صفوفها تحت أهداف وطنية وسياسات توفيقية واحدة . ووصل هذا الصراع - فى بعض مشاهده - إلى حالة عبثية مدمرة .... إن هذا النوع من الصراع يدل على خلل ثقافى فى المجتمع، ويتمثل الخلل فى غياب الحد الأدنى من الوعى السياسى ومن قيم التماسك والتلاحم الاجتماعى ما جعله عرضة لانهيارات متلاحقة فى الداخل والخارج ..... وما لم يطور المجتمع ونخبه من ثقافتهم السياسية ويستوعبون شيئا من قوانين الصراع والتدافع ومالم يجدد المجتمع ونخبه وسائلهم لتعزيز قيم التلاحم وقيم الحوار وقبول الرأى الآخر فلن يستعيد هذا المجتمع عافيته ولن ينهض من كبوته . ومن شاء أن يكافح ويجاهد فهذا ميدانه وهو ميدان العمل الأصعب والأطول طريقا لكنه الأنفع والأبقى ... لقد أثبتت التجارب والدروس السياسية فى العالم العربى أنه من السهل تحقيق النجاح فى الوصول إلى الحكم عن طريق الانقلابات العسكرية ... ومن الصعب جدا النجاح فى إدارة الحكم وتحقيق العدل الاجتماعى والسياسى والاقتصادى . ومن السهل رفع الشعارات وإنتاج الأناشيد وادعاء البطولات والانتصارات لكن من الصعب الوصول إلى الأمجاد الحقيقية المتمثلة فى تحقيق الحرية والعدل والتقدم العلمى والصناعى والرفاه الاجتماعى، وهى الإنجازات التى تجعل الشعب يقدر قيادته ويبنى معها بإخلاص وهمة مشروعاتها الوطنية الكبيرة...

إن هذا الواقع الليبى البائس والمشين الذى تعكسه حال الخدمات العامة وتردى حقوق الإنسان يدل على وجود خلل كبير فى بنية المجتمع الليبى وهذا الخلل هو الذى أفرز من داخله جراثيم الفساد والمفسدين وهو الفساد الذى تحول إلى وباء يفتك بكل شيء ويستعصى علاجه على المدى القريب . والدارس لتاريخ الشعوب ولسنن التغيير لا يمكنه أن يتوقع إصلاح وتصحيح ذلك الخلل الذى أصاب المجتمع الليبى بأسلوب المسكنات والترقيعات والخطابات ... إن التغيير أو الإصلاح أو التصحيح فى ليبيا اليوم لن يحدث إلا بفكر جديد وبدماء جديدة وفى ظروف ومناخات جديدة هى بعض سنن التغيير التى تفرض نفسها عند شيخوخة عهد من العهود .... والشيخوخة هى إحدى سنن الحياة الكبرى .... ولله فى خلقه شئون .

إن كل ليبى يحب بلده وأهله فى خارج البلاد أو داخلها لا بد أن يتالم وأن يحزن لما وصلت إليه حال البلاد ـ وخاصة حقوق الإنسان ـ ويتمنى أن يرى بصيصا من الأمل من أجل وضع حد للمأساة ومن أجل مراجعة شاملة للسياسات التي انتهت إلى هذا المصير .... إن هناك جيلا من الشباب يصل عدده إلى ثلاثة ملايين وبعض هذا الجيل يعيش مسحوقا متوترا ويرى ببصره وبصيرته أصناف الفساد ويرى ويعلم أن أموال الشعب تهدر بطرق كثيرة داخل البلاد وخارجها .... لن يكون هذا الجيل راضيا بل بالتأكيد إنه يغلى فى داخله ويعى وعيا كاملا ودقيقا أن

حقوقه مسلوبة وأن أمواله تذهب إلى مجالات غير مشروعة وأحيانا كثيرة غير معروفة . إن هذا الجيل هو الذى سيكتشف بحسه وضميره ومعاناته اليومية أين الخلل ومن المسئول عن هذا الخلل .... ولعل الجيل الجديد من أبناء ليبيا المخلصين وخاصة فى داخل البلاد سيساهمون فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه باعتبارهم من جيل الشباب وخاصة من درس منهم فى أوربا وشاهد الحياة فى أوربا وكندا أو الولايات المتحدة وأدرك قيمة العلم والعدل وحقوق الإنسان ونظام المؤسسات وأهميتها جميعا فى نهضة الشعوب ..

لن ينقذ ليبيا من واقعها المتردى فى جميع المجالات إلا أبناؤها وبناتها (فما حك جلدك مثل ظفرك) (ما أحس بالنار إلا من كانت رجله فيها) فلا الإعلام العربى ولا السياسيين العرب ولا أوربا ولا الولايات المتحدة ... لا أحد من هؤلاء يحس بكارثة الشعب الليبى ولا يهمهم إلا مصالحهم وما يحصلون عليه من أموال ومن رشاوى .... أقول ذلك لأن بعض الليبيين ما زالوا يعولون على وهم القوى الخارجية بينما الحل الحقيقى والإيجابى هو دائما من الداخل من الإنسان ذاته ومن الوطن ذاته...

وتجارب الحياة وسنوات الكفاح والمعاناة والصراع هى مدرسة التغيير العملى ومنها يتعلم الإنسان كيف ينظر وكيف يقيم الأعمال ونتائجها، وتفرض تلك التجارب على الإنسان أن يراجع ذاته وأفكاره وأعماله فى كل محطة من تلك المحطات التى مر بها،

وإذا كان الإنسان هو جوهر ومحور هذه الصراعات جميعا فلابد من إعادة الثقة إلى الإنسان الليبى، الثقة فى نفسه وفى أهله بما يجعله قادرا على القيام بدور الإصلاح ووضع الصراع السياسى الثقافى فى إطاره الطبيعى بحيث يصبح صراعا بناء إيجابيا وأن يظل هذا الصراع منضبطا فى حدود ما يعرف بالصراع الحضارى السلمى وعبر قنواته ومؤسساته السلمية، ولا شك أن الطريق سيكون طويلا وشاقا قبل بلوغ ذلك المستوى من الصراع الإيجابى.

* * *

فوضى الأفكار وزيف الشعارات ليبيا نموذجاً

فى فترة الستينيات لم تكن تعجبنا الحياة فى ليبيا على رغم ما حظينا به من حرية، ولو نسبية، على صعيد الكتابة إذ كنا نكتب ما نشاء، ونقول الكثير مما نريد، ولا أحد يتابعنا بعين الرصد أو يهددنا بسبب مقال سياسى، أو خاطرة نقدية، وإن حدثت حالات تخالف ذلك، فكانت محدودة، وكنا نهتف لشعارات وسياسات من خارج حدود ليبيا. وما جرى لأصحاب تلك الحالات لم يكن يساوى ذرة بالنسبة لما جرى لهم ولغيرهم عندما فتح (الانقلابيون) سجلا جديداً، عرفه كل الناس فى الوطن العربى، وحيثما وقعت واقعة الانقلاب، التى لم تذهب فقط بأمنية الكتاب، ولكنها ذهبت بما هو أعز، أجمل، لقد فقدنا الوطن ذاته، وكل ما فى الوطن من عزيز وغال.

هذا الإحساس لم يقتصر على من هاجر فقط، بل طال الكثيرين من سكان البلاد، بل إن المهاجر يحن إلى صور جميلة لا يراها الآن من لم يهاجر، ولا يعرفها من لم يعاصر عقد الستينيات وما فيه من حيوية، ومن تطلعات صرعتها زوابع

الانقلابيين التى هبت من عمق الصحراء. هذه الصحراء التى نحبها، وكان يمكن التعامل مع قسوتها وترويضها وسقيها وزراعتها.

ليس المهم من يحكم ليبيا، أو أسماء الأشخاص والعائلات، ولا أسماء الأحزاب إن وجدت. ولكن المهم هو الأفكار والأفعال ونتائجها. ذلك هو منهج كل دراسة موضوعية وما نبتغيه من الكتابة عن أزمات ليبيا المزمنة، وأى نظام سياسى لا يحقق لنفسه الرؤية السياسية المتوازنة، والمناخ الثقافى والاجتماعى والاقتصادى الذى يمكنه من الاستقرار والبناء والتقدم فلن يذوق طعم الراحة، ولن يقترب من دائرة المجد. فلا قيمة ولا معنى لأى نظام سياسى لا يحقق حرية الناس وكرامتهم، ويوفر لهم مظلة اجتماعية واقتصادية عادلة.

لقد عانت بعض شعوب الوطن العربى وخصوصاً الشعب الليبى من فوضى فى الأفكار وتزييف فى الشعارات، وغياب النموذج القدوة على مستوى القيادات وعلى مستوى التطبيقات. فأدى ذلك إلى نكبات متتالية حلت بأعز ما تملك هذه الشعوب من مقومات أساسية في الفكر والثروة والسيادة. وضاع كيان أوطان كان يمكن أن تنهض بدور إنسانى وحضارى يجعلها فى موقع التقدير والاحترام فى ميزان القوى الدولية. وكان يمكن أن تكون ليبيا، بثروتها النفطية، وبعدد سكانها الصغير، وبموقعها المهم على البحر المتوسط، إحدى الدول العصرية، وأن تؤدى دوراً نشطاً وإيجابياً على الصعيدين الإقليمى والدولى.

ولكن زوابع السياسة الليبية قلبت كل المفاهيم والتقاليد السياسية رأساً على عقب لتنتهى نتائج تلك السياسة بالبلاد إلى حصار جعلها تزداد بؤساً وتخلفا وضياعاً.

والبؤس الذى يخيم على ليبيا اليوم شمل كل شىء حتى الدولة، حيث تلاشت مكانتها وهيبتها كقوة تنظيمية تدير حركة الحياة وتضمن توازن تدافع قوى المجتمع ومؤسساته بقوة الدستور والقانون.

لقد غاب حضور الدولة، وحلت الفوضى فى كل شىء، وتعطلت رسالة التعليم، والأمن، والخدمات. وبرزت ظاهرة نهب المال العام، وكان الناس فى حالة حرب ضد هذه المؤسسة. وهناك قصص لا يصدقها العقل، لولا ما تؤكده التصريحات الرسمية والخطب الرسمية فى هذا الشأن. وحالات الفوضى والنهب هذه، جعلت قلة من الليبيين يدخلون دائرة الصيد الثمين. وبرزت شريحة من الأثرياء الجدد فى مدد قصيرة جداً. وتفشت الرشوة فى مؤسسات الدولة، وصار الناس يتكلمون وينتقدون، ولكنه كلام يبقى دون صدى، أو معنى لعدم وجود المؤسسة التى تمارس الرقابة القانونية والمالية والإعلامية.

ومن الظواهر الخطيرة التى ترتبت على تراكم هذه السلبيات تدنى الإحساس بالمواطنة الصالحة والحرص على سمعة البلاد. وعلى أى مظهر من مظاهر نظافتها وجمالها، حتى أصبحت المدن

الرئيسية مثل طرابلس وبنغازى مهددة بالأوبئة بسبب النفايات. وكان يمكن أن يحافظ سكان كل مدينة على نظافة مدينتهم، وأن ينقذوا ما يمكن إنقاذه. إنها صورة قاتمة، فى بلد دخله من النفط لا يقل عن عشرة بلايين دولار سنوياً فى أسوأ الحالات.

انحلت عرى الدولة واحدة تلو الأخرى، وتفككت بعض دوائر المجتمع وشبكة علاقاته الإنسانية التقليدية، ليجد الإنسان نفسه فى حمى اللهاث وراء حاجاته اليومية بما فى ذلك ماء الشرب الذى صار أعز ما يملكه الناس فى بيوتهم.

هذه بعض صور الحياة فى ليبيا، وهى صور بائسة ومؤلمة. وليس هناك مواطن مخلص لبلاده يحب أن تستمر هذه الصورة. فكل ليبى سليم العقل والقلب يتطلع إلى صورة جديدة لبلاده. حيث توظف أموال النفط توظيفاً اقتصادياً صحيحاً، ويتجسد ذلك فى تحسين الخدمات، وتطوير خطط التعليم، وتعزيز الأمن والعدل، وإشاعة جو من الطمأنينة بين الناس، فيعبرون عن آرائهم، ويتمتعون بحق التنقل والسفر، والحصول على العملة الصعبة لتغطية نفقات سفرهم وسياحتهم وتجارتهم وعلاجهم. وأن يكون كل ذلك متناسباً مع دولة نفطية، تملك مبالغ كبيرة من العملات الصعبة، ومعبراً عن إرادة شعب ينتسب فى عمقه إلى الحضارة الإسلامية.

إن الشعب الليبى فى عمومه يتطلع إلى المستقبل، ويتطلع

إلى أن يرى بلاده في صورة جديدة، وفي دولة يسودها الأمن والأمان، والعدل والحب، والوئام الاجتماعي. بعدما عانت من قسوة التقلب والانتقال من مرحلة جديدة، تبدأ من النظام السياسي. وكل نظام سياسي إما أن يصلح نفسه، وأن يصحح أخطاءه، أو أن يواجه مصير الفشل والانحطاط والسقوط وحده.

والخطوة الأولى نحو مستقبل جديد تبدأ بالتخلي عن العنف، من كل الأطراف. والدخول في حالة السلم والحوار. لأن العنف يولد العنف، ويعمق الشروخ في بنية المجتمع. أما الحوار فيؤدي إلى التفاهم والمشاركة في حل المشكلات ومواجهة كل التحديات، ويقضي كل ذلك إلى الاستقرار والتقدم. فالميثاق هو (ميثاق الاختيار الديمقراطي) الحر النزيه، حيث يكون صندوق الاقتراع هو الحكم، وهو القاضي، ومن يفوز بالغالبية يفوز بوكالة الشعب لإدارة مؤسسات الدولة وتوظيفها لصالح ذلك الشعب طبقاً للدستور وما ينبثق منه من قوانين وتنظيمات ومؤسسات.

إن الاهتمام بالمستقبل هو بعض من الحلم والإرادة الإنسانية المتطلعة دوماً نحو آفاق جديدة واعدة مستبشرة، على رغم تأزم الواقع وما يوحي به من صعوبات.

* * *

(*) صحيفة الحياة، الخميس ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣ .

الديمقراطية فى ليبيا
سراب أم أمل ؟

حيثما وجهنا أبصارنا نلاحظ حالة من الترقب والانتظار تشد المواطنين الليبيين. فما يجرى فى شأن بلادهم ومستقبلها يثيرهم ويستفزهم. ومن طبيعة الإنسان أن يتعلق بالأمل وأن ينظر إلى المستقبل. ومهما كانت كثافة الضباب وصعوبة الطريق فإن مرحلة جديدة تتفاعل مقدماتها فى هذه الفترة، وتنسج خيوطها فى إطار النظام العالمى الجديد. ولسنا فى صدد الخوض بأى شكل من أشكال الافتراضات والتوقعات المتعلقة بأساليب التغيير، بل هى محاولة لطرح جانب من الأزمة السياسية المزمنة، والتى كانت وراء كل الأزمات الأخرى، إنها أزمة النظام السياسى فى ليبيا وإدارة السلطة فيه وانتقالها بين الناس فى دورات سلمية.

بعبارة أخرى إنها أزمة الديمقراطية وحقوق الإنسان، وبسط العدل الاجتماعى. فالنفق المظلم الذى دخلت فيه ليبيا ليس إلا نتيجة حتمية، بسبب غياب الحد الأدنى من الممارسة الديمقراطية فى بلد لا يتجاوز عدد سكانه خمسة ملايين نسمة، وفى جوفه، براً وبحراً، بحيرات من النفط، وتمتد سواحله على البحر المتوسط على طول ألفى كيلو متر تقريبا، وبسبب موقعه

ونفطه يمثل منطقة جاذبة لأسباب الصراع، كما هى الحال مع كل بلد غنى صغير. وفى بلد يتمتع بهذه الخصائص كان من الضرورى أن تنتعش وتنمو فيه الديمقراطية على غرار بعض دول ما يسمى بالعالم الثالث أو الثانى. ولكن لسوء حظ ليبيا وسكانها فلا تمتعت بالرخاء الاقتصادى، ولا اقتربت من الخيار الديمقراطى. بل بقيت تعانى من التصحر فى الطبيعة والمعيشة والسياسة والفكر، وانتهت إلى شبه فراغ أصبح يهدد مستقبل البلاد.

وعادت عجلة التاريخ لتذكرنا بمرحلة الحرب العالمية الثانية حيث كانت بريطانيا وحلفاؤها تمثل طوق النجاة من الاستعمار الإيطالى، وصار البريطانى الصديق الودود. وكانت هناك فرصة تاريخية لبناء أسس الديمقراطية ولو فى حدودها الدنيا. ومع بدايات فورة النفط حذر مجيد خدورى بقوله: وإذا تمكنت الحكومة أثناء فترة البناء من كسب الثقة والمحافظة على التوازن بين الولايات تصبح ليبيا مثال الدولة المستقرة فى شمال أفريقيا وقد تكون أقوى دولة هناك. أما إذا بددت الثروة دون الالتفات إلى حاجات الشعب الأساسية فقد يزداد التذمر بين الشعب والسلطات الحاكمة (. . .) وقد يسبب اضطراباً يؤدى إلى قيام فورات اجتماعية، بحيث يتعرض حتى وجود الدولة نفسه إلى الخطر!! (كتاب ليبيا الحديثة، الدكتور محمد خدورى). وكانت النتيجة أسوأ مما تنبأ خدورى، لقد ضاعت الدولة، وضاعت

الثروة، ليصبح مصير ليبيا الآن تحت رحمة مجلس الأمن والنظام العالمى الجديد.

ولا أحد يعلم كيف سيتطور الصراع وأى رياح حارة أو باردة ستهب على ليبيا خلال الصيف أو الشتاء؟!

ففى مثل هذه الأجواء يكثر الكلام عند الليبيين الموجودين فى الخارج عن الديمقراطية، إنه الشوق إلى شىء من الاستقرار والأمان والحرية والكرامة الإنسانية. فكيف نبرز هذا الهيام بالديمقراطية الذى لا وجود له إلا فى الكتب والمقالات وعند النخب المثقفة. وهى بمجرد وصولها إلى السلطة تنسى الديمقراطية، أو تجبر على نسيانها. فهل يسمح النظام العالمى الجديد بتطبيق الديمقراطية الصحيحة فى بلادنا كما هو فى حصون ومعاقل الديمقراطية الرأسمالية والتى أحياناً لا تعجب بعضنا لأنها ديمقراطية النخب، ومجموعات المصالح، وليست ديمقراطية الجماهير.

نواجه فى ليبيا حالة خاصة، وربما شاذة، لأن كل ما حولنا يواجه حالاته الخاصة، والتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية فى عالم اليوم تدفعنا على الإصرار على السير أو الزحف نحو الخيار الديمقراطى. وإلى الاهتداء إلى طريق ما يقود الناس إلى الحياة المدنية الإنسانية، ولو فى حدودها الدنيا. هل يمكن للزمن أن يدور دورة واعدة للحالمين بشىء من الكرامة الإنسانية فى أوطانهم؟ فهل للديمقراطية والعدالة مستقبل فى الوطن الأم؟

(*) صحيفة الحياة، الأحد ١٥ آب (أغسطس) ١٩٩٣.

رسالة مفتوحة

من أجل منصور الكيخيا :

وردتنا هذه الرسالة من الكاتب الليبى محمود الناكوع، وهى رسالة مفتوحة موجهة إلى الرئيس المصرى حسنى مبارك بخصوص قضية اختفاء المعارض الليبى منصور الكيخيا فى القاهرة منذ شهر تقريباً (الكلام لصحيفة الحياة) .

السيد الرئيس

بدأت مصر منذ أكثر من عقدين، تحولاً ملحوظاً نحو الحياة الديمقراطية، وجرى تعديل الدستور المصرى، فبرزت من جديد ظاهرة الأحزاب السياسية، وحرية الصحافة، ورغم كل التحفظات بشأن هذا التحول فقد استبشرنا به كثيراً: استبشر به المثقفون على اختلاف مدارسهم ومذاهبهم وتوجهاتهم. والكل كان يؤكد مكانة مصر وأهميتها بالنسبة إلى العالم العربى. فإذا نجحت الديمقراطية فى مصر فليس هناك من يقف أمام انتشارها فى بقية أجزاء الوطن العربى. وإذا فشلت الديمقراطية فى مصر، فانعكاساتها السلبية ستصل كذلك إلى بلدان عربية أخرى.

إن مكانة مصر، وحضورها فى بؤرة الوعى العربى والإسلامى حقيقة تاريخية وثقافية وسياسية. من هنا ولهذه الأسباب، اتجه

كثير من المهاجرين والمكافحين، والباحثين عن الأمن والأمان إلى مصر، فى مختلف مراحل التاريخ العربى الإسلامى. وفى مقدمة هؤلاء عشرات الآلاف من أبناء وبنات ليبيا. وبعضهم فضل أن يسكن ويعيش فى مصر طوال حياته.

السيد الرئيس

إن هذه الاعتبارات، وفى هذه المرحلة بالذات، ترتب على مصر وعلى حكومتها وقيادتها السياسية، مسؤولية خاصة وحساسة. ومسئوليتها الأولى والأساسية هى (أمن) من دخل ترابها، ومشى فى شوارع مدنها، وسكن فى فنادقها، وشارك فى مؤتمر يعقد فى عاصمتها، وهو مؤتمر من نوع خاص (مؤتمر حقوق الإنسان العربى) لمنظمة مقرها فى القاهرة. ورئيسها من رجالات مصر.

السيد الرئيس

إن اختفاء السيد منصور رشيد الكيخيا، أحد الشخصيات القومية الليبية وأحد خريجى جامعات القاهرة، وأحد دعاة الديمقراطية وحقوق الإنسان البارزين عربياً وعالمياً إنه لأمر يدعو إلى الدهشة والاستغراب، إذ لم يكن يدعو إلى الألم والحزن والأسى. وقضيته ليست قضية عادية، وليست حدثاً عابراً، ولكنها قضية آلاف الليبيين، وقضية آلاف العرب، وخاصة المقيمين فى مصر. كيف سيشعر هؤلاء بالأمن؟ وكيف ينامون مطمئنين؟ كيف سيذهب آخرون إلى مصر، إذا لم يعرف مصير منصور الكيخيا؟

السيد الرئيس

إن الكتابة إليك واجب لأنك رئيس دولة مصر، ولأن مصر دولة ترفع شعار الديمقراطية. والكتابة عادة لا توجه إلى رئيس ديكتاتور، ولا توجه إلى رئيس لنظام شمولى استبدادى، لأن الديكتاتور يقفل كل الأبواب، وكل النوافذ، وكل القنوات، ولا خير ولا رجاء فيه. إن نافذة الأمل تظل مفتوحة، حيثما كانت حرية الرأى وحرية الصحافة. وحرية الكلام وحرية الحركة والانتقال فى أمن وأمان.

السيد الرئيس

لا شك فى أنكم تقدرون مدى الخوف الذى يعيشه آلاف الليبيين فى مصر، خاصة بعد مضى أكثر من أربعة أسابيع على اختفاء السيد الكيخيا فى القاهرة، إذ يظل اختفاؤه كابوساً يقض مضاجع الآخرين.

لكل ذلك نناشدكم، باسم كل القيم الإنسانية النبيلة، أن تعلنوا حقيقة ما جرى لمنصور الكيخيا، وأن تعلنوا الموقف السياسى المصرى، حتى تظل مصر أرض الكنانة، ومن دخلها كان آمناً.

(*) صحيفة الحياة، الأحد ١٦ كانون الثانى (يناير) ١٩٩٤ .

(*) إن قضية الأستاذ منصور الكيخيا السياسى والمحامى المعروف هى الأخرى تجسد نوعية الصراع بين الحكم والمعارضة فى هذه المرحلة التى اختفى فيها منصور، وكان معارضا محاورا وكان يبحث دائما عن نقاط الالتقاء تحت راية الصراع السلمى، ورغم نواياه الحسنة فقد دفع ثمنا باهظا.

الأنظمة والتنظيمات السياسية الليبية... ومشكلة العقلية القبلية

عرفت ليبيا أول محاولة تنظيمية سياسية سرية فى الثمانينيات من القرن التاسع عشر وهى مرحلة ضعف الحكم التركى فى ليبيا وبداية ظهور الأخطار الأوربية متمثلة فى سياسات استراتيجية لاحتلال الشمال الأفريقى ومنه ليبيا، وفى تلك الأجواء وفى عهد ولاية أحمد راسم أسس مجموعة من الشباب جمعية أطلقوا على قانونها الأساسى اسم: (فوائد ونصائح خيرية) وانطلقوا من مقهى مصطفى أغا الذى كان يقع خارج سور مدينة طرابلس وقرب شارع ميزران الحالى، وكان من أهدافها إصلاح أوضاع الولاية بتعميم التعليم والارتفاع بمستوى قبائل البادية وسكان الدواخل عموما والعمل على الاهتمام بكل ما له صلة برفع مستوى التعليم والصناعات إضافة إلى مراقبة الأطماع الأوربية ومكافحتها وكان العقل المدبر لتأسيسها رجل يدعى إبراهيم سراج الدين جاء من المدينة المنورة وطاف بالجزائر وتونس ومصر ومر ببنغازى ثم استقر بطرابلس وانكشف أمر تلك الجمعية بعد بضع سنوات وحكم على مؤسسها بالإعدام وذكر أنه توفى فى السجن بسبب المرض.

(أحمد صدقى الدجانى: بدايات اليقظة العربية والنضال الشعبى فى ليبيا) وفى عهد الإدارة البريطانية أى فى الأربعينيات من القرن العشرين وبعد الحرب العالمية الثانية وانسحاب إيطاليا من ليبيا عرفت ليبيا لأول مرة فى تاريخها ظاهرة الأحزاب السياسية علنا ورسميا وبلغ عددها أكثر من عشرة أحزاب كان من أهمها حزب المؤتمر الوطنى بطرابلس وجمعية عمر المختار ببنغازى وصاحب ظاهرة الأحزاب هذه نشاط ثقافى وصحفى يعتبر من أهم ما ميز المرحلة التحضيرية لاستقلال ليبيا الذى أعلن رسميا فى الرابع والعشرين من ديسمبر ١٩٥١. ثم ألغيت جميع الأحزاب مع بداية الاستقلال (للاطلاع مجيد خدورى: دولة ليبيا الحديثة).

وبعد إلغاء تلك الأحزاب لجأ المثقفون الليبيون فى عهد الاستقلال وفى فترة النظام الملكى ١٩٥١ – ١٩٦٩ إلى إنشاء تنظيمات سياسية سرية ومنها: حزب البعث العربى الاشتراكى. القوميون العرب، الإخوان المسلمون. حزب التحرير الإسلامى. ومجموعات من المثقفين اليساريين....

وفى عهد النظام العسكرى بقيادة العقيد معمر القذافى صدر قانون تجريم الحزبية ١٩٧٢ ليضع نهاية لتلك المحاولات السرية. ثم جاءت مرحلة جديدة وهى مرحلة تكوين التنظيمات السياسية فى ديار الاغتراب والهجرة حيث أسس المثقفون الليبيون تنظيمات عدة بلغت أكثر من خمسة عشر تنظيما بعضها تمكن

من حشد وتجنيد المئات وكان من أكبر تلك التنظيمات (الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا) وخاضت تلك المنظمات تجارب سياسية وتثقيفية وعسكرية، وعكست كل ألوان الطيف السياسى الليبى، ومع أواسط التسعينيات من القرن العشرين وصلت تلك التنظيمات إلى أسوأ حالاتها وفقدت قدرتها على مواصلة النضال السياسى كقوة مؤثرة كما كانت فى عقد الثمانينيات أو أوائل التسعينيات... هذه سلسلة من الأحداث كلها ذات علاقة بالنشاط السياسى وأغلبه تم بطرق سرية أى أن البيئة الثقافية والسياسية لم تكن متقبلة لفكرة الأحزاب، ويبدو لى أن هناك أسبابا كثيرة ساهمت فى مسلسل الفشل ومن أهم تلك الأسباب ثقافة القبيلة التى شكلت عقلية ظلت محدودة الآفاق قصيرة النظر غير قادرة على إدراك المصالح الوطنية وما تقتضيه من ضرورات الحوار مع الآخر والاعتراف بوجوده ودوره مهما كان صغيرا... وظلت التنظيمات السياسية عبارة عن جماعات صغيرة معزولة بعضها عن البعض الآخر... بل إن كل تنظيم كان يقلل من أهمية التنظيمات الأخرى وربما يذهب إلى أبعد من ذلك فيطعن فى أفكارها وأهدافها ويتهمها بما لا يليق من العبارات والأوصاف وكأن أتباعها ليسوا من أبناء الوطن....

وما حدث مع التنظيمات ورجالها حدث مثله فى إطار إدارة شئون الدولة فى المرحلتين الملكية والجمهورية فالجماهيرية، ففى العهد الملكى ورغم أن الملك محمد إدريس السنوسى لم يكن

قبليا فإن بعض رجاله من كبار المسئولين كانوا قبليين ثقافة وعقلا وسلوكا ومارسوا أدوارا خطيرة فى ترسيخ ثقافة القبيلة ابتداء من التحضير للاستقلال وحتى سقوط النظام الملكى عام ١٩٦٩ (راجع مذكرات مصطفى بن حليم) وفى عهد النظام العسكرى تجلت عقلية القبيلة أولا فى نظام الحزب الواحد والذى أطلق عليه اسم (الاتحاد الاشتراكى) ثم أخذت ثقافة وعقلية القبيلة تبرز وتتجسد فى عدد من مراكز القوى العسكرية والسياسية والاقتصادية واستمرت حتى هذه اللحظات.

إذن نحن أمام مشكلة ثقافية عامة تتطلب جهدا كبيرا لمعالجتها والتصدى لأبعادها السلبية.... وهذه المشكلة تعتبر آثارها من أبرز سلبيات الصراع السياسى والثقافى فى الماضى وفى الوقت الحاضر، وما زالت القبيلة توظف توظيفا سيئا وعدوانيا ومدمرا وخاصة فى الأوقات الحرجة وفى الأوضاع الاستثنائية. وهناك أمثلة كثيرة فى تاريخنا يمكن الرجوع إليها والاستدلال بها سواء في العهد الملكى أو فى العهد الحاضر....

ولعله من الأهمية الدراسية أن نتوقف عند بعض معالم تلك الثقافة التى يتصف صاحبها بالخصائص العقلية والنفسية التالية:

١ – ضيق الأفق بحيث لا يتسع عقل الإنسان القبلى لقبول اختلاف الآراء وتنوع الأفكار والصبر على إنضاجها لتعمل متكاملة لتحقيق الأهداف الكبرى.

٢ – ثقافة القبيلة من خصائصها الشك فى الآخرين والخوف منهم وهذا الشك يجعل صاحبه لا يثق فى من حوله من الأطراف الأخرى ولذلك يلجأ إلى الاستبداد بكل أسباب القوة المتوفرة. وهذه الخاصية تجعل كل تنظيم يخشى التنظيمات الأخرى رغم أنها تشاركه الآلام نفسها وتشاركه حق المواطنة وتشاركه حق إدارة شئون الوطن وقراراته المصيرية، وتجعل رئيس الدولة صاحب العقلية القبلية يخشى من بروز شخصيات سياسية منافسة له فيستأثر بكل عناصر القوة حتى يصبح وحده صاحب السلطان والكلمة العليا ثم يسخر الآخرين لخدمة ما يريد هو لا ما يحتاجه المجتمع.

٣ – من خصائص العقلية القبلية العمل على إقصاء الآخرين بشن حملات معادية ضدهم وبتسفيه آرائهم وقناعاتهم بل أحيانا بتكفيرهم ومصادرة حقهم فى الإيمان بربهم، وبذلك تتعمق الهوة بين أطراف وقوى كان من الأجدر أن تتحاور وأن تتواصل وأن تتعاون على إنجاح المشروعات الوطنية الكبرى، وهذا الإقصاء لا يمارسه عقل متحضر بل يمارسه عقل قبلى جاهلى متخلف.

٤ – العقلية القبلية ورغم حصول أصحابها على شهادات علمية عالية تبقى أحيانا مشدودة بأفق القبيلة ومساحتها الضيقة ويظهر ذلك من خلال فكر وممارسات أصحابها وأحيانا يتم ذلك دون الإحساس به ما يدل على تراكم ثقافة القبيلة وحجبها عن

ذلك العقل حقائق التطورات الاجتماعية وطنيا ودوليا وهذا هو أسوأ ما يصل إليه أى متعلم فى هذا العصر.

٥ – من نظم وثقافة القبيلة أن يستمر شيخ القبيلة فى قيادتها ما دام حيا وقادرا فإذا مات أو انتقلت القيادة إلى أحد أبنائه أو أقاربه الأمر الذى نلاحظه فى بعض التنظيمات السياسية وفى بعض أنظمة الحكم وتقوم العقلية القبلية بتفريغ الشورى والديمقراطية من مضامينها الأصلية وتعبث بها حسب رغباتها وأهدافها التافهة فى أغلب الأحيان...

٦ – العقل القبلى ينفر من النظام ويرفض تبعات الشرائع والقوانين المنظمة للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بل إنه ينتهك حتى أبسط قواعد نظام المرور... ولعل نزول القرآن على العرب كان من أهدافه ترويض الإنسان البدوى وجذبه إلى حياة اجتماعية تؤمن بحق الآخر وتؤمن بالتعاون والتكافل على أسس عادلة وليس على قاعدة.

٧ – وما أنا إلا من غزية إن غوت.

٨ – غويت وأن ترشد غزية أرشد.

٩ – ورغم مرور القرون والأجيال فإن بيئة وثقافة البداوة العربية. ما تزال ثقافة طاردة للنظام واحترام الشرائع السماوية والوضعية على حد سواء. ومن الواضح أنه كلما ضاقت مساحة التعليم وقلت النشاطات الثقافية والفكرية، وغابت بضاعة الكتب

والمجلات والصحف كلما اتسعت مساحة الجهل وزادت فى المجتمع سلبيات العقلية القبلية.

١٠ – السؤال الذى يمكن أن يطرح بعد هذا التوصيف: إلى أى مدى يمكن تعميم هذه الظاهرة؟ وهل هناك استثناءات؟ لا شك عندى أن أغلبية الشعب الليبى تحكمها ثقافة القبيلة، وأغلبية الشعب الليبى تدفع الآن ثمن سلبيات ومفاسد ومظالم تلك الثقافة التى ترفضها العقيدة الإسلامية وترفضها القيم الحضارية والديمقراطية وترفضها قيم الإنسانية قيم الحرية والعدل والمساوات. ولا شك عندى أن هناك قلة من الليبيين تجاوزوا بجهودهم الشخصية ثقافة وعقلية القبيلة ويحاولون أن يساهموا فى عملية الارتقاء بالمواطن الليبى والخروج به من قفص ثقافة القبيلة إلى آفاق أوسع وأرحب وأجمل وأرحم...

١١ – وقبل أن ندخل فى معالجة هذه المشكلة لابد من التأكيد أن القبيلة باعتبارها أنسابا وأرحاما وعلاقات عائلية واجتماعية هى ظاهرة اجتماعية لا يتم إصلاح سلبياتها وتقاليدها السيئة إلا عبر جهود كبيرة وعبر تطور تدريجى وكلما اتسعت دائرة المدن وتداخلت العلاقات الاجتماعية كلما انحسرت ثقافة القبيلة وحلت محلها ثقافة المدينة وعادات المدينة وتقاليد المدينة وهى تقاليد وعادات أقرب إلى الخير والعدل وأبعد عن التعصب والجاهلية. ورغم مرور أربعة عشر قرنا من الإسلام فإن تلك التقاليد القبلية السيئة والفاسدة ما تزال تفعل فعلها وما تزال تعرقل نهوض الشعب الليبى... ما العمل؟ ما هو البديل؟

١٢ – هنا أطرح دعوة للتفكير بهدوء وبمنهج نقدى داخل كل مؤسسات المجتمع الليبى وداخل كل التنظيمات وخارج تلك التنظيمات بحثا عن إجابات أو محاولات للإجابة عن تلك التساؤلات.

١٣ – ومن بين تلك الإجابات وتلك المحاولات الاتجاه بقوة نحو تأسيس الجمعيات والمنظمات الخدمية مثل: منظمات حقوق الإنسان، والجمعيات الثقافية والأدبية، وتنظيم حوارات فكرية، وإنشاء الجمعيات الخيرية والمشاركة فى نشاطاتها، كما المشاركة فى برامج المدارس الأهلية، والنشاطات الترفيهية... وأن يعطى الكثير من الفكر والعمل لإنجاح هذه الجمعيات وأن يعطى القليل من العمل للنشاط السياسى لا لتجاهله ولكن تمهيدا لإنضاجه والارتقاء به بعد أن تبين أن المناخ الثقافى لم ينضج لقبول الأحزاب والتنظيمات السياسية، وإذا كتب لهذه المحاولات الاجتماعية والثقافية أن تنجح فى خارج البلاد حيث تتوفر أسباب كثيرة فإنه من المتوقع أن تصبح هذه المجالات الأكثر جدوى من التنظيمات السياسية والأكبر إيجابية من الأحزاب السياسية ما دامت على حالها من الجمود والتخبط والاختلافات..... فما جدوى التنظيمات السياسية خارج بيئتها الطبيعية (الشعب الليبى) وما جدوى التنظيمات السياسية فى داخل ليبيا إذا كانت سرية ومطاردة من قبل الدولة وأجهزتها القمعية الشرسة؟

١٤ – إن المرحلة التاريخية الحالية لا تحمل أى مؤشرات واعدة بمستقبل للتنظيمات السياسية مهما كانت برامجها أو أهدافها، وإذا كان من علامات الصلاح أن يتعلم الإنسان من أخطائه فهو مدعو إلى تصحيح تلك الأخطاء وإلى فهم مواضع المصلحة العامة والخاصة...

١٥ – إن مرارة الواقع المتخلف الذى يعيشه الشعب الليبى تحت وطأة ثقافة القبيلة وعقلية القبيلة يستفزنا ويحثنا على مراجعة جريئة وشاملة لمسيرة خمسين عاما من الاستقلال ومن التجارب المتعثرة على مستويات كثيرة فى داخل البلاد وفى خارجها.... ألا يستحق هذا الوطن وشعبه أن تراجع قواه الحية قناعاتها وأعمالها وتجاربها ومواقفها وأن تفرز أفكارا جديدة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.... ألا يستحق هذا الوطن أن يرتفع أبناؤه وبناته بمستوى الصراع السياسى الثقافى نحو التنافس الإيجابى من أجل إرساء ثقافة الحوار واحترام كل الآراء، والدوران حول القيم الكبيرة... قيم حرية التفكير والتعبير. قيم العدل ودولة القانون والمؤسسات والتداول السلمى على السلطة، فى كل مستوياتها الصغيرة والكبيرة ومنها رئاسة الدولة.

* * *

المجتمع الليبى بين ثقافة القبيلة وثقافة الوطن

فى صفحات سابقة تناولت مشكلات الأخطاء القاتلة التى مرت وما تزال تمر بها السلطة القائمة فى البلاد كما تنظيمات المعارضة وهى مشكلات شديدة الصلة بثقافة المجتمع الليبى.... والثقافة هى ذلك الكم الهائل المركب من العادات والتقاليد والمعلومات والتاريخ والتجارب اليومية التى يتعلمها الإنسان من مجتمعه من الأسرة مرورا بالمدرسة والمسجد والقبيلة أو الحى وانتهاء بالكتاب والمجتمع... وتظل السنوات العشر الأولى من عمر الإنسان من أهم مراحل بناء الأسس الثقافية فمن يتكون فى مناخ ثقافة القبيلة وتقاليدها سيجد نفسه متأثرا بكثير أو بعض خصائصها وإن حصل على شهادة جامعية من أكسفورد أو السربون أو هارفارد، ففى هذه الجامعات يتعلم الإنسان العلوم والمعارف التى قد تساعده على تطوير أو تحسين ثقافته ولكنها لا تستطيع أن تقتلع أو تذيب مخزونه الثقافى السابق وتسكب فى داخله ثقافة جديدة محضة ومن هنا يقول علماء الدراسات الاجتماعية كل مجتمع له ثقافة وليس كل مجتمع له

حضارة.... والحاكم البدوى أو القبلى يظل يفكر ويتصرف فى إطار ثقافته البدوية ولو جلس على كرسى الخلافة أو الرئاسة ولو ترجمت له جميع دساتير وقوانين الدول والإمبراطوريات العظمى ومهما تكدست فى خزائنه الأموال لن يستطيع الخروج من قفص الثقافة القبلية ذلك القفص الذى يجعل الإنسان لا يثق إلا فى من حوله من رجال قبيلته ويجعله لا يرى بقعة فى الوطن الكبير أفضل من بقعة القبيلة التى ينتمى إليها وهكذا تصبح القبيلة ومساحتها هى التى تحدد له مركزه وقيمه ورسالته ومدارات أفعاله.....

وما يحدث بالنسبة للحاكم وما يطرأ عليه من حالات نفسية وسلوكية فى تعامله مع الآخرين يطرأ كذلك على شخصيات أخرى تمارس مهام سياسية واجتماعية داخل السلطة أو خارجها أو فى صفوف المعارضة..... وفى تاريخ أمتنا العربية ظلت ثقافة القبيلة وعقلية القبيلة بكل سلبياتها هى المشكلة الكبرى رغم نزول القرآن وما تضمنه من توجيهات أخلاقية عظيمة ورغم الفتوحات العسكرية وما حققته من توسع جغرافى للمسلمين..... هذا هو الطابع العام الذى يحكم ثقافة المجتمع الليبى وفعل الإنسان الليبى وهو لا يعنى عدم وجود حالات استثنائية على مستوى الثقافة ومستوى الفعل ولعل الحركة الإسلامية السنوسية ـ وهى أقرب مثل تاريخى ـ تعتبر من أهم

المحاولات الإصلاحية التى خططت وعملت للارتقاء بالإنسان من ثقافة القبيلة وعادات القبيلة وجاهليتها إلى ثقافة الإسلام وخصائصها الأخلاقية والعمرانية والحضارية وكانت الزوايا السنوسية هى رمز ونموذج ذلك الارتقاء ... وبهذه الثقافة كانت جغرافية الفعل الإصلاحى السنوسى تمتد من فاس غربا إلى المدينة المنورة شرقا، ولم يسأل أحد عن قبيلة محمد على السنوسى لأن ثقافته وحركته الإصلاحية كانت أكبر وأعظم من قبيلته، ونتيجة لذلك كانت دعوته وتاريخه أعمق وأوسع أثرا .

وعندما حكم ليبيا آخر أحفاد محمد على السنوسى، وهو الملك الراحل محمد إدريس المهدى السنوسى لم يعدم فى ليبيا لأسباب سياسية سوى رجلا واحدا، وكان ذلك الرجل من أبناء الأسرة السنوسية المالكة ... وهو فعل وسلوك لا علاقة له بثقافة القبيلة التى تحكم الكثير من البلدان العربية ومنها ليبيا دون معايير عادلة لا فى محاكمها ولا فى توزيع ثروات البلاد، أقول هذا الكلام ولم أكن فى يوم من الأيام ملكيا ولا سنوسيا ولكن الذى يهمنى فى هذا المثل هو البعد الثقافى فى أفقه الرحب الإيجابى وهو المثل الذى يجسد الفرق بين ثقافة القبيلة وضيقها وجاهليتها وبين ثقافة الإسلام وآفاقها الإنسانية والحضارية وما أحوجنا اليوم إلى توجه ثقافى وعملى نحو الارتقاء بثقافة المجتمع الليبى وانتشاله من ثقافة الانحطاط والتردى ثقافة القبيلة ....

ما أحوجنا إلى خطاب ثقافى يقوم على الإيجابيات وإبرازها والتذكير بها والتأكيد على الانتماء الوطنى وما يعنيه من نسيج ثقافى تمتزج فيه قيم الدين واللغة والأدب والعلاقات الاجتماعية بالمصالح الأساسية ومنها المصالح الاقتصادية والسياسية حيث يتساوى المواطنون أمام القانون فى مجتمع يسعى ويناضل من أجل تحقيق دولة القانون ... فثقافة القبيلة ترفض دولة القانون بينما ثقافة الوطن غايتها دولة القانون . ثقافة القبيلة تميل إلى تعزيز غلبة القوى المستبد واستمراره سيدا على الآخرين فى حين تتجه ثقافة الوطن إلى تثبيت العدل عن طريق تطبيق وترسيخ القوانين والنظم العادلة وتعمل على ترويض المواطن على التناوب على الرئاسة والسلطة من رأس هرم الدولة إلى أصغر مؤسسة حكومية ....

المثقف فى ليبيا كان ولا يزال رائدا فى زرع قيم الحس الوطنى والانتماء الوطنى وتجلى ذلك فى كتابات تاريخية وشعرية وأدبية .... وخلال مرحلة العشرين سنة الأولى من الاستقلال كاد المجتمع الليبى أن يضع بداية ثقافية واعدة نحو تضييق مساحة ثقافة القبيلة خاصة فى الأجيال الجديدة والتى دخلت المدارس والمعاهد والجامعات بُعَيْد الاستقلال، وكان لثقافة التيارات الإسلامية والقومية واليسارية بصمات واضحة فى الارتقاء بالوعى العام من ثقافة القبيلة إلى ثقافة الوطن

والعروبة والإسلام بل إلى ثقافات إنسانية أوسع ... وأزعم أن المثقف الليبى حتى هذه اللحظات وأثناء هذه الصراعات - ورغم محاولات السلطة فرض ثقافة القبيلة بل ومحاولة نقلها إلى مجتمع المدينة وخاصة فى طرابلس وبنغازى - قد بقى هذا المثقف شديد الولاء والتعبير عن ثقافة الوطن وبعيدا كل البعد عن قفص ثقافة القبيلة وهذا عنصر إيجابى يجب أن يسجل لدور المثقف الليبى الذى يكافح كفاحا مريرا وسط مناخ سياسى مخيف ومدمر .... ومن حسن الحظ أن دعاة ثقافة القبيلة يسبحون ضد تيارات ثورة الاتصالات والمعلومات وما تطرحه من ثقافات وأفكار وتفسيرات لا مكان فيها لمن يحاول شد المجتمع إلى ثقافة القبيلة مهما توهم من سطوة مصدرها السلطة .... وإذا كانت القبيلة هى إحدى الحلقات الاجتماعية المهمة فى المجتمع العربى ومنه ليبيا فلا أحد يستطيع إلغاءها بمرسوم أو بخطبة أو بمقال ولكن فى الوقت ذاته لا يجوز لأحد مهما كان مركزه أن يوظفها توظيفا شريرا، وأن يجعلها لعبة لإدارة الصراع ولكسب ثمار ذلك الصراع على حساب المواطن البسيط الذى قد تحركه نزوات أو مصالح محدودة ...

خلاصة القول أن هناك من يعمل على توظيف ثقافة القبيلة ظنا منه أنها الوسيلة الأسهل لخلط الأوراق تارة ولتحقيق السيطرة تارة أخرى، وهذا إن تيسر ونجح أحيانا فإن اللعب به أمر خطير .

وهناك من يدرك فى المجتمع الليبى أبعاد هذه المحاولات ويعمل على إفشالها بكل الطرق ومنها المعارضة السلبية التى كاد أن ينقلها الشعب الليبى خلال العقود الثلاثة الماضية، ويظل المثقف الليبى المنحاز كليا وعلنيا لثقافة الوطن هو صاحب الكلمة الأخيرة والصحيحة لأن عالم اليوم يتطور بسرعة نحو اندماج المجتمعات الإنسانية بفعل ثورة الاتصالات وما تحمله من معلومات وثقافات ولن يستطيع أى حاكم وأى حزب وأى نظام مهما بلغ من القمع والاستبداد أن يمنع تدفق المعلومات . ولن يستطيعوا هؤلاء جميعا حجب الأخطاء أو تبرير تلك الأخطاء تبريرا بدائيا وسطحيا، وكل هذه التحولات التى نشاهدها فى عالم التقنية والمعلومات تفتح الطريق نحو انتصار فكر وثقافة الديمقراطية وحقوق الإنسان الذي كرمه الله بطاقة الدماغ والقدرة على التمييز والاختيار .

* * *

التيارات الإسلامية فى ليبيا

من الحقائق التاريخية أن الدين الإسلامى قد تجذر واستقر فى ليبيا بحيث لا تنازعه أى عقيدة أخرى، ولا تنبت بجواره أو تزاحمه أى نحلة أو دعوة مهما كانت أسباب قوتها، ومهما طال أمد وجودها . وقد تعرضت ليبيا لغزوات خارجية كثيرة : النورمنديون، الأسبان، الإيطاليون، البريطانيون والفرنسيون . وكتب لكل هذه الغزوات عدم الاستقرار وعدم الاستمرار، لأنها وجدت رفضاً وكفاحاً وصموداً ضد كل دعوة لا تنسجم مع أسس وحقائق الإسلام، وأصبحت ليبيا بفضل رسوخ الإسلام تجسد وحدة البناء الثقافى، والانسجام الاجتماعى، وكادت أن تكون نسيجاً مميزاً لا تتسلل إليه الأفكار والدعوات الدخيلة إلا تحت غطاء يستر غربتها، أو بطلاء يخفى شذوذها ويحجب زيفها .

وفى تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر تعرضت ليبيا لنفس التيارات الفكرية والثقافية والسياسية التى تعرضت لها سائر أقطار الوطن العربى، سواء تلك التيارات الوافدة مع حركات التحديث الغربى، أو تيارات التجديد الإسلامى النابعة من داخل المجتمعات الإسلامية وبفعل حركاتها الإصلاحية . ونظراً لصغر الكثافة السكانية فى ليبيا فقد ظلت منطقة جاذبة تهب عليها رياح الثقافات، وبقيت تأخذ وتستقبل أكثر مما تعطى .

وموقع ليبيا بين مصر شرقاً وتونس غرباً جعلها تستجيب وتتفاعل مع كل الأحداث والتطورات المهمة فى هذين البلدين الجارين . فقد درس الليبيون بجامع الزيتوية بتونس، ودرسوا فى الجامع الأزهر بمصر . وعندما توقف جامع الزيتونة، وأدارت تونس بورقيبة ظهرها للثقافة العربية الإسلامية، واتجهت نحو الغرب بضورة متطرفة، انحسرت حرمة الاتصال الثقافى بين ليبيا وتونس، واختل التوازن، واتجه الليبيون بأعداد مكثفة نحو الشرق، نحو مصر بدرجة رئيسية، ونحو سوريا والعراق بدرجة أقل . ومع تطور الحياة الاقتصادية (النفط) فتحت الطريق أمام البعثات الطلابية نحو الغرب، وصار الغرب (أوروبا والولايات المتحدة) هو قبلة طلاب العلوم الحديثة، بل طلاب العلوم الإنسانية، وبما فى ذلك الدراسات الإسلامية .

فى عقدى الخمسينيات والستينيات، كان المشرق العربى الإسلامى بمراكز حواضره الثلاثة : القاهرة، ودمشق، وبغداد، يمثل نقاط الانطلاق والانتشار للتيارات الإسلامية المعاصرة، ومنها امتدت جل التأثيرات الفكرية، ووصلت إلى ليبيا، وتفاعلت معها الأجيال، وبدأت تأخذ أشكالها، وتعبر عن أهدافها، وانعكست جميع التيارات على مرآة الواقع الاجتماعى والثقافى والسياسى منذ بداية الاستقلال (١٩٥١) وتواصلت أبعادها حتى الآن . وفيما يلى عرض لأبرز تلك التيارات .

التيار التقليدى

ويمثله العلماء والوعاظ، وأئمة المساجد، وحفظة القرآن، ومدرسو مادة الدين واللغة العربية . وهؤلاء عادة من خريجى الجامعات الإسلامية، درس بعضهم فى الجامعات الإسلامية، فى بعض الدول العربية . وبعضهم فى الجامعة الإسلامية فى البيضاء فى عهد النظام الملكى . هذا التيار كان يسيطر بحكم ثقافته، وبحكم التسهيلات الرسمية على كافة المساجد، ويصل نشاطه إلى الإذاعة والتليفزيون والصحافة . وتركز دوره فى الإرشاد والتوجيه والفتاوى، وهو فى ذلك لا يخرج كثيراً عن إطار السياسة العامة للدولة فى العهد الملكى، وهى سياسة تعتبر الدين بعض مقوماتها، وتستمد منه شرعيتها باعتبار أن الملك إدريس حفيد المصلح الإسلامي المعروف محمد على السنوسى . وظل هذا التيار أوسع التيارات تأثيراً فى الأوساط الشعبية، وفى المؤسسات المهمة ومن بينها المساجد .

الإخوان المسلمون

انطلقت حركة الإخوان تاسيساً ودعوة وانتشارا من مصر، وأراد لها مؤسسها وعقلها المدبر حسن البنا أن تنتشر خارج مصر، وكان الليبيون فى مرحلة ما بين الحربين العالميتين يقصدون مصر طلباً للهجرة والأمان، أو طلباً للعلم والدراسة . وعندما استقلت ليبيا (١٩٥١) ازدادت حركة البعثات الطلابية من ليبيا إلى

مصر، واعتمدت ليبيا بصورة رئيسية فى حركتها التعليمية على المدرس المصرى، والواعظ المصرى، والكتاب المصرى . ومن جملة هذه الحركة وعلاقاتها وآثارها الثقافية وصلت دعوة الإخوان إلى ليبيا . فأعداد من الليبيين الذين درسوا فى مصر عرفوا جماعة الإخوان بالاتصال المباشر، فاستمعوا إلى خطبائها، وقرءوا كتبها وصحفها، وشاركوا فى حلقات أسرها، واندفعوا إلى معسكرات التدريب، وذهبوا مع الإخوان إلى ساحة الجهاد فى فلسطين سنة ١٩٤٨ .

وعندما عاد هؤلاء إلى ليبيا عملوا على نشر مبادئ وأفكار الإخوان، وقام بنفس النشاط بعض المدرسين والوعاظ المصريين الذين قدموا إلى ليبيا بعقود عمل مع الحكومة الليبية. وساعد على نشر دعوة الإخوان - خاصة - فى بنغازى وجود كل من عز الدين إبراهيم ومحمود الشربيني اللذين لجآ إلى ليبيا سنة ١٩٤٩ إثر محنة الإخوان فى مصر، كما جاء إلى ليبيا من الإخوان المصريين كل من الدكتور محمود أبو السعود، المهندس مصطفى مؤمن والمهندس يوسف ندا . وكان لهم نشاطهم العلمى والتجارى، وجرى تركيز الدعوة فى المدارس الثانوية، والمساجد، والجامعة .

إلا أن حركة الإخوان لم تتمكن من التوسع المناسب بسبب منع الأحزاب والتنظيمات فى ليبيا، حيث إن الملك إدريس لا يرتاح ولا يقبل هذا اللون من النشاط، وبسبب سيطرة المد

القومى الناصرى . وبحكم التعرض والاختلاف بين التيارين كان نجاح وانتشار شعارات عبد الناصر على حساب دعوة الإخوان، وغيرها من الاتجاهات الأخرى .

ورغم أن النظام الملكى لم يسمح بتكوين الأحزاب، إلا أن جميع التيارات الفكرية والسياسة ـ التى عرفها المشرق العربى ـ كانت موجودة فى ليبيا، ومنها التيار القومى (البعث، القوميون العرب)، التيار اليسارى (الماركسيون التروتسكيون)، إضافة إلى التيارات الإسلامية (الإخوان، حزب التحرير) . وفى عهد الملك إدريس تم تجريم وحبس البعثيين والقوميين العرب، بينما فى عهد العقيد القذافى تم اعتقال وحبس وتعذيب الإخوان وحزب التحرير والتروتسكيين والماركسيين .

حزب التحرير

فى أواخر الستينيات عرفت ليبيا حركة نشطة لأعداد من الشباب الليبى الذين انخرطوا فى تنظيم حزب التحرير الإسلامى . وكان جلهم من طلاب المدارس الثانوية، ومن طلاب الجامعة . واتخذ الحزب من المنشور السياسى أداة رئيسية لإثبات حضوره، وكان عادة يوزع عن طريق البريد، أو من صديق إلى صديق، وقد برز حجم واسم حزب التحرير إثر الاعتقالات المشهورة التى جرت فى ليبيا فى نيسان (إبريل) سنة ١٩٧٣، بعد خطاب ألقاه العقيد القذافى فى زوارة . واتخذ شباب التحرير موقفاً متصلباً ضد

الانقلاب العسكرى وسياساته وشعاراته، وصدرت ضد عدد من قياداته عقوبة الإعدام . وظل عدد قليل منهم فى السجن نحو ثلاثين عاما ثم أفرج عنهم عام ٢٠٠٢ . ونظرا لحداثة نشوء الحزب فى ليبيا فلم يتمكن من تكوين قاعدة تذكر .

بين عهدين

تكونت هذه التيارات ونشطت فى ليبيا خلال العهد الملكى (١٩٥١-١٩٦٩) وتميزت هذه المرحلة بتطورات سياسية وثقافية هائلة فى كل الوطن العربى . ومن أبرز تلك التطورات الثورة المصرية ١٩٥٢، تأميم قناة السويس، ثم العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦ . اندلاع الثورة الجزائرية ١٩٥٤، انطلاق العمل الفلسطينى المسلح ١٩٦٥ (فتح) . وكانت هذه الأحداث، وما صاحبها من نشاطات إعلامية وثقافية وسياسية جميعها تنعكس على الواقع الليبى . وكان نظام الحكم فى ليبيا ضعيفاً يقوده ملك بلغ سن الشيخوخة ويفتقد إلى الرؤية المستقبلية التى تمكنه من استيعاب ضرورات المرحلة . وهبت رياح السياسة الدولية والإقليمية تعصف بكيان ليبيا الهش، ولذلك سمح النظام لتلك التيارات أن تعيش، وأن تظل تحت المراقبة الأمنية، وكانت جميعها مكشوفة لأجهزة الأمن . ولم تتسع قواعدها بدرجة يخشى منها النظام . وعندما وقع التغيير السياسى فى البلاد، وتسلم السلطة العسكريون فى ١٩٦٩ تغيرت الصورة بالكامل .

فظهرت فى ليبيا لأول مرة شعارات عبد الناصر : حرية، اشتراكية، وحدة . وعرفت التيارات الإسلامية التقليدية والتجديدية أن أيامها الحلوة انتهت .

هجرة جديدة

ومرة أخرى سرى قانون الهجرة على الليبيين . وتواصلت حركة ونشاطات التيار الإسلامية فى خارج البلاد، وخاصة فى الغرب (الولايات المتحدة وأوروبا) حيث اختار عدد كبير من طلاب البعثات التعليمية عدم العودة إلى ليبيا، وصاحب هذه المرحلة انتشار الصحوة الإسلامية، وتأثير كثير من الشباب الليبى بها، وتفاعلوا مع فكرها وشعاراتها، وانعكست أبعادها الثقافية السياسية على شريحة واسعة منهم . فتأثروا بوهج وانتصاره الثورة الإيرانية الإسلامية، وتأثروا بالطرح الفكرى والسياسى للحركة الإسلامية بالسودان، والحركة الإسلامية فى تونس . وواصل الشباب الليبى ما انقطع فى الداخل، فجماعة الإخوان تمارس نشاطاً هادئاً يتناسب مع اهتماماتها التربوية والاجتماعية، وتصدر مجلة دورية (المسلم) وتنحو نحو الاعتدال، وتتأثر بمواقف جماعة الإخوان الأم بمصر، ولها صلات بجماعات الإخوان الأخرى الموجودة فى الأقطار العربية، أو الموجودة فى ديار الهجرة والاغتراب .

ومن ثمار النشاط الإسلامى فى ليبيا منذ بدايات

الاستقلال، ومن ثمار الصحوة الإسلامية الجديدة فى العشرين سنة الماضية، عرفت الساحة الليبية ظهور تيار يتميز بالحركة والتفاعل مع هموم الوطن والأمة، ومع التطورات السياسية والفكرية، وبلور هذا التيار رؤية وطنية إسلامية ديمقراطية، تعتبر نقلة مهمة في الفكر والتنظيم، وركز على تبنى برامج نضالية، وأسس (الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا) فى ١٩٨١، واستقطبت الجبهة أعداداً كبيرة من الشيوخ والكهول والشباب والنساء .. وصارت أكبر فصيل معارض فى خارطة المعارضة الوطنية . وظلت خلال السنوات الخمس الأولى تتصف بالحيوية والانسجام والزخم الإيجابى .

إلا أن المرحلة التالية وتزاحم الأحداث فيها، والاهتمام الدولى بالجبهة، جعلها تقع فى سلسلة من الأخطاء الاستراتيجية والتكتيكية، وتركزت تلك الأخطاء فى ثلاث دوائر : فى إدارة التنظيم، حيث اختل ميزان الممارسة الشورية لا الديمقراطية، وتضخمت الظاهرة الفردية، والمبادرات والمغامرات الفردية غير المدروسة . وفى العلاقات مع فصائل المعارضة التى سادها جو من التوتر والسلوك الانفعالى، وتعطلت لغة الحوار الهادئ الصبور، ولم تتمكن الجبهة من المحافظة على شعرة معاوية، وعلى الاحترام والتقدير المتبادل وخاصة فى ١٩٨٦-١٩٨٧ وفى العلاقات الدولية كانت الضربة القاصمة، وذلك عندما تجاوزت تلك العلاقات الخطوط الصفراء والحمراء، وفقدت الجبهة استقلالية القرار،

وأصبحت منذ خريف ١٩٨٥ ورقة تعصف بها رياح السياسة الدولية وتقلباتها وأمواجها . ودخلت فى مغامرات، ركبت فيها الجبهة العشواء، وجرّت على كيانها أخطاء قاتلة . فشلت حركتها، وأفسدت انسجامها، وشوهت نصاعة مواقفها، وأهدافها، واضطربت مسيرتها وانسحب أو تخلى عنها العدد الأكثر من أعضائها وقياداتها ومؤسسيها، بعد أن فقدوا أى بصيص من الأمل فى إصلاح شأنها وتقويم اعوجاجها . وعبر كثير من شبابها الإسلامى عن احتجاجهم، وذهبوا يبحثون عن تنظيمات إسلامية أخرى، أو ينتظرون الفرصة المناسبة لتأسيس تنظيم يلبى طموحاتهم الإسلامية .

تيارات جديدة

وفى داخل ليبيا ظهرت تيارات جديدة، هى كذلك من نتاج وآثار الصحوة الإسلامية العالمية، وهى صحوة ناقصة فى حقيقة أمرها ـ وصفتها الصحافة العربية والغربية بأنها (سلفية)، (أصولية)، و (جهادية)، و (متطرفة)، وجسدت ظاهرة لم يقبلها النظام ولم يحاورها . وهناك مئات الشبان الذين توجهوا إلى ساحات الجهاد فى أفغانستان، وشاركوا فى العمل العسكرى، كما شاركوا فى النشاط الدعوى والثقافى، ومنهم من استشهد هناك ... ومن هذه الجماعات الجديدة من رفع السلاح داخل البلاد ضد السلطة، ومنهم من دخل فى صراع فقهى مع عامة الناس وأحدثت آراؤهم ردود فعل سلبية .

هذه نظرة خاطفة على مسرح التيارات الإسلامية الليبية بعضها يعيش خارج الوطن، وبعضها داخله . وهى فى عمومها جزء من سنن التدافع الاجتماعى والصراع الثقافى السياسى، وجزء من التحولات الاجتماعية التى يعيشها العالم بصورة عامة، والأمة الإسلامية بصورة خاصة . وإذا قسنا هذه التيارات بحجم ليبيا سكانياً، ورصيدها حضارياً،وظروفها سياسياً، نلاحظ أنها تشكل نشاطاً حيوياً ولكنه يتسم بالبدائية والسطحية فى تعامله مع واقعه وبيئته وعصره .

وأن ليبيا التى اهتدى أهلها إلى الإسلام منذ العقد الثالث من القرن الهجرى الأول، واستقبلت لغة القرآن، وظلت دائماً إسلامية، جدير بتياراتها الحديثة ـ على اختلاف ألوانها ـ أن تدخل فى حوارات متواصلة وإيجابية وديمقراطية للمشاركة فى تطوير الخطاب السياسى والثقافى في ليبيا بهدف تعزيز الوحدة الوطنية ولإعادة بناء دولة ليبيا بناء ديمقراطيا وحضاريا.

* * *

---

* مجلة العالم لندن، السبت ١٨ كانون الثانى (يناير) ١٩٩٢، مع إضافات وتعديلات قليلة .

الدكتور عمرو النامى
سيرته ومواقفه

عندما أنهى الدكتور عمرو النامى دراسته فى جامعة كمبردج سنة ١٩٧١ كان يحلم بمكانة مرموقة فى الجامعة الليبية. وهو حلم يتناسب مع قدراته العلمية،ومواهبه الفنية، وتطلعاته الفكرية . إنه مثقف واسع الاطلاع، متنوع القراءات، ويتمتع بذكاء أهله إلى درجة المتفوقين فى الدراسات الأدبية فى كلية الآداب والتربية، بالجامعة الليبية، ومقرها مدينة بنغازى، سنة ١٩٦٢ ووقع اختياره لبعثة دراسية لاستكمال الدراسات العليا .

كانت الجامعة الليبية فى تلك السنوات فى بداية عمرها الذهبى، إذ افتتحت أول جامعة ليبية فى زمن الاستقلال سنة ١٩٥٥ . (استقلت ليبيا سنة ١٩٥١) ، وأهدى الملك إدريس قصره المتواضع، واسمه قصر المنار ليكون منارة لطلاب الدراسات الجامعية، ومن حسن الحظ، وحسن السياسة تمكنت الجامعة فى عقدى الخمسينيات والستينيات من الاتفاق مع عدد من الأساتذة الجامعيين اللامعين وجلهم من جامعتى القاهرة، والإسكندرية . وكان من بينهم الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين، أستاذ الأدب العربى الحديث، وهو شخصية مثيرة بأسلوبه النقدى

وبتمسكه ببعض القديم بما فى ذلك (طربوشه) الذى يميزه عن سائر المدرسين الآخرين .

كان الدكتور محمد محمد حسين شديد الإعجاب بذكاء عمرو النامى، فاهتم به وشجعه على المضى فى طريق البحث والدراسة حتى يصبح يوماً ما أستاذاً جامعياً . وجمعت بين الأستاذ وتلميذه رابطة المنطلق والتوجه الإسلامى . ومن الصدف الطريفة أن قسم اللغة العربية فى تلك السنوات (١٩٥٩-١٩٦٢) جمع بين ثلاثة من الطلاب الأذكياء، وهم عمرو النامى، ومصطفى الهنقارى،وصادق النيهوم . وفى حين جمعت الصدفة بينهم فى الدراسة، فقد كان لكل واحد منهم شخصيته الثقافية، وسلوكه الاجتماعى، واختياره الفكرى، وتباعدت بينهم الآراء والمعايير والمواقف حتى انعكست فى أعمالهم الأدبية والنقدية، والتى سنذكرها فيما بعد، وبالتحديد بين عمرو النامى، وصادق النيهوم .

فى سنة ١٩٦٢ أكمل عمرو النامى تعليمه الجامعى فى ليبيا، وبدأ يستعد لمرحلة الدراسات العليا . وتوجه فى بداية الأمر نحو مصر، وبينما كان فى تلك المرحلة وقعت أحداث ١٩٦٥ وهى أحداث اعتقالات (الإخوان) ومن بينهم محمد قطب وسيد قطب. ونظراً لأن عمرو النامى يقع فى نفس الدائرة من حيث التوجه الفكرى، وخشية من أن تمتد إليه يد الاعتقال ترك مصر، وترك شأن الدراسات العليا فيها، وعاد إلى ليبيا لبعض الوقت،

واستطاع أن يقنع إدارة الجامعة الليبية بتغيير مكان الدراسة من مصر إلى بريطانيا . وكان مدير الجامعة فى ذلك الوقت المرحوم الأستاذ مصطفى بعيّو الذى قدر ظروف عمرو النامى، ووافق على إجراءات التغيير .

فى بريطانيا، وفى جامعة كمبردج قضى عمرو قرابة خمس سنوات كان حصادها التعليمى درجة الدكتوراه فى الدراسات (العربية والإسلامية وكان بحثه الأكاديمى بعنوان : دراسات عن الإباضية) وحصادها العام ثقافة واسعة، وتجربة حضارية، وعلاقات متنوعة مع أهل العلم والفكر ورواد الحركات الإسلامية من مختلف الأجناس واللغات والقارات .

بينما كان عمرو النامى فى غربته تلك من أجل العلم والدراسة (١٩٧١-١٩٦٧) كان يتابع أخبار الوطن، وما يجرى فيه من تفاعلات ثقافية وسياسية، وظل يرصد بعض ما تنشره الصحف الليبية من مقالات فكرية وأدبية، أو ما تنشره من شعر، ولا يفوته أن يقيمها، وأن يعبر عن موقفه من اتجاهاتها وما تعكسه من دلالات لا يرضى عنها فى بعض الأوقات، وفى بعض ذلك الإنتاج .

كنت أنا فى تلك السنوات صحافياً في صحيفة (العلم) أكتب عادة عموداً يومياً . وأكتب أحياناً مقالات فى بعض الصحف والمجلات الأخرى، بعضها حكومية، وبعضها مستقلة.

ونظراً لعلاقة الصداقة بينى وبين عمرو النامى، ونظراً لاهتماماتنا بالفكر والثقافة، وحواراتنا المتواصلة منذ كنا فى الجامعة، فقد اتفقنا أن يكتب مقالات تنشر فى صحيفة (العلم)، كان ذلك فى عقد الستينيات ويمكن وصف العقد بالزمن الذهبى للصحافة الليبية، وحرية التعبير على صفحاتها، ما كان منها ناطقاً باسم الدولة، أو ما كان منها قطاعاً خاصاً، وغالباً يعيش بدعم من الدولة .

نشرت صحيفة (العلم) ما بين سنة ١٩٦٨-١٩٦٩ عدداً من المقالات النقدية لعمرو النامى ، كانت تدور حول (الحضارة الغربية وموقفها من الإسلام والعالم الإسلامى) . (الشعر الحديث، نماذج ليبية) واختار لها عنوان (فصول من الجد الهازل) وعكست نقدا لاذعا وساخراً لبعض الإنتاج الشعرى الليبى الذى انفلت من موازين الشعر العربى، وانفلت من ثقافة وقيم وصور البيئة العربية والإسلامية، وكثرت فيه على حد إشارات النامى (النواقيس) و(الصلبان) وأشياء أخرى، وجسدت تلك المقالات لونا من ألوان الصراع الثقافى لتلك المرحلة من تاريخ ليبيا ومن تاريخ الوطن العربى الكبير حيث تتوفر الكثير من الكتب والمجلات الأدبية وخاصة تلك الثقافة الأدبية التى تعلمها الشبان الليبيون من مجلات : الطليعة والكاتب والآداب البيروتية وغيرها .

أما المقالات التى أثارت دوياً هائلاً فى تلك الأيام، فهى

المقالات التى أنشأها عمرو النامى بعنوان (رمز أم غمز فى القرآن) وفيها رد على كتابات الصادق النيهوم، التى نشرها فى صحيفة الحقيقة . ونشر بعضها الآخر فى صحيفة الرائد، وكانت عن (الرمز فى القرآن) ومن أكثرها جدلاً مقالته بعنوان (إلى متى يظل المسيح بلا أب) . حيث أحدثت ردود أفعال فى عدة دوائر دينية وصحافية وأدبية .

من بين ردود الفعل تلك كانت مقالة عمرو النامى التى أرسلها من مدينة كمبردج ونشرت (بالعلم) بتاريخ ١٨ / ٤ / ١٩٦٩ وجاء فيها : (ولولا أننى أعرف الصادق النيهوم جيداً لكتبت غير هذا عن هذا الأمر، فأنا أعرف الصادق شخصاً لا ينطلق من أسس واضحة فيما يفعل أو يكتب، وهو يصنع ذلك استجابة لما يقرأ أو يطرأ عليه من أحوال تكتنف حياته التى لا يحكمها تصور واضح للحياة، أو سلوك ثابت محدود . ولذلك عندما نشر بعض فصوله عن الرمز فى القرآن، حسبت ذلك على ما قدمته من أحواله . وقلت نوبة ستمضى بما جاءت، وهو شىء غير ذى قيمة فى الواقع لا من ناحية الجهل والدراسة والبحث العلمى السليم، ولا من حيث آثاره ونتائجه) . وكشف النامى أن ما يردده النيهوم قد سبقة إليه الباطنية نظرياً وتطبيقاً . ولعله من المناسب أن نلاحظ أن النيهوم الذى كتب مقالات فى مجلة (الناقد) جاءت بنفس الأسلوب، ونفس العناوين الاستفزازية فيما يصدر عنه من آراء بشأن قضايا الفكر الإسلامى .

ويبدو أن جو كمبردج، ومناخها الأكاديمى قد أشاع الاطمئنان والارتياح عند الدكتور عمرو النامى . فعندما حدث التغيير فى ليبيا فى ١/٩/١٩٦٩، وانتهى النظام الملكى، وحل محله النظام الجمهورى كتب مقالة بعنوان (كلمات للثورة) نشرت بصحيفة (الثورة) فى ٤/١١/١٩٦٩ ، ووضع فيها مبررات الثورة، ومهمة الجيش . وهى مهمة استثنائية ضرورية محدودة، يعقبها تسليم السلطة إلى الشعب، وهو الذى يختار أسلوب حياته السياسى والاجتماعى فى الفترة القادمة . وتناولت المقالة الاتجاهات الفكرية السياسية القائمة فى البلاد فى ذلك الوقت ورتبها على الشكل الآتى : ١- القوميون العرب . ٢- البعثيون . ٣- الناصريون . ٤- الشيوعيون . ٥- الإسلاميون ووصفها بأنها تجمعات عقائدية لذلك حسب تعبيره (فغالب الظن أنها لن تتخلى عن اتجاهاتها القائمة بل ستستمر فى ارتباطاتها بهذه الاتجاهات والدعوة إليها، ونحن نعتقد أن لها جميعاً حقاً كاملاً فى اعتناق أفكارها وعرضها فى نطاق الأخلاق العامة للشعب، بعيداً عن التراشق بالتهم والكذب والإرجاف . ويجب أن تتاح الفرصة الكاملة لهذه التجمعات للتعبير عن أفكارها وعرضها بكل الصور المشروعة التى تختارها . كما يجب الاستفادة من خبرات هذه الفئات جميعاً على النطاق الفردى فى الجهاز الإدارى للدولة مع تجنب تمكين أى فئة منها من كل المراكز

الحيوية التى تجعلها تستغل مرافق الدولة فى سبيل أهدافها الخاصة) .

كما تحدث فى مقالته الطويلة عن الثورة والإسلام، وأكد أن الإسلام هو الأصل وهو الأساس فى إحداث الإصلاح المنشود فى ليبيا، فلا توجد فى ليبيا عقيدة غير عقيدة الإسلام.

فى صيف عام ١٩٧١ حزم الدكتور عمرو النامى كتبه وأمتعته وعاد إلى وطنه ليبيا ليحقق حلمه وليقف على منابر الفكر والعلم كاتباً وشاعراً وأستاذاً جامعياً . وبدل أن تفتح أمامه أبواب هذه المنابر، استقبلته مراكز الشرطة، وغرف التحقيق، ومنها إلى المعتقل . وجاء أول اعتقال كحالة إنذار وتحذير ولم تستغرق مدته إلا بضعة أيام، واستأنف حياته العادية، وبدأ نشاطه التعليمى فى الجامعة فى بنغازى ثم نقل إلى طرابلس .

عندما جرت الاعتقالات الموسعة سنة ١٩٧٣ تحت شعارات (الثورة الثقافية)، (من تحزب خان)، (الثورة الإدارية)، كان عمرو النامى واحداً من مئات المعتقلين من المثقفين والطلبة . وكنت أنا أحد المعتقلين فى السجن الذى دام قرابة سنتين . وبعد الإفراج عنا، طلب من الدكتور عمرو النامى أن يغادر البلاد، وأعطى حق اختيار منفاه فى اليابان أو أمريكا اللاتينية، أو أفريقيا . فاتجه أولاً إلى الولايات المتحدة لتدريس اللغة العربية والإسلام فى جامعة أمريكية . ثم طلب منه الذهاب إلى اليابان فى سنة ١٩٧٩ وفيها أنشد يقول :

ودعت دارك رغم الشـــوق للدار
والدار ذات أحـــاديث وأخـــبـــار
يا داراً أمـــسـيت بالأحـزان غـامـرة
تـهـــدى هـمـــومك من دار إلى دار
نفسى الفـداء لأرض عشت محنتها
ثم ارتحلت وحـيـداً غـيـر مـخـتـار
مـــبـــدد الحـــول لا زاد ولا أمل
إلا عـــلالات أفكار وأشـــعـــار
أنّى ارتحلت فـــإن القلب يعطفنى
إلى الأحـبـــة فى شـــوق وإصـــرار
بالأمس كنت عـرين المجـد يا وطنى
وتدرج الفـضل فى سـهل وأوعـار
رفـعت ألوية للفـخـر عـالـيـة
وصـــغت آثار مـــجـــد أى آثار
وأمـهـرت أرضك الأبطال من دمـهـا
تســـخـــو بـه بين أنجـاد وأغـــوار
واليـوم لا شيء غـيـر الحزن يا وطنى
وغـــيـــر أنات أطيـــار لأطيـــار

ولأنه شديد الحب لوطنه ولأهله ولمرابع طفولته وشبابه وذكرياته لم يطق حياة الاغتراب، وغلبته جاذبية الوطن، فعاد إلى ليبيا قبل أن يدور العام دورته . وقرر أن يهجر العلم والتدريس وأن يترك المدن الكبيرة، وأن يتحول من مهنة التدريس إلى مهنة رعى الأغنام لعل ذلك يجعل سداً بينه وبين (منكرات السياسة) . وكان جاداً فى هذا الاتجاه، واشترى قطيعاً من الأغنام، وذهب إلى ظاهر (نالوت) مسقط رأسه ومقر أسرته وأهله، وفى قصيدة فى هذا الموضوع يقول مخاطبا إحدى بناته :

ونعيش فى قنن الجبال تظلنا
ويحيطنا بالحفظ قفر سبسب
جيراننا وحش الفلاة فلا يرى
فيها سوى سبع يسيح وثعلب
وهناك لا نخشى سوى ذئب الغضا
يعدو على تلك الشياه فينهب
والوحش وحش لا يلام لبطشه
وهو فى طبيعته يغير ويغضب
فلقد نعيش هناك عيشة هانئ
ولقد يسالمنا الشجاع المرعب

لم يتمكن الشاعر، والأستاذ الجامعى من أن يحقق أمنيته،

ومن إنجاز مشروعه، وليعيش حراً عزيزاً كريماً كما تطلعت نفسه الحرة . وفوجئ مرة ثالثة بأبواب السجن تفتح أمامه سنة ١٩٨٢ ومنذ سنة ١٩٨٤ وفى رواية أخرى منذ ١٩٨٦ انقطعت أخباره عن أهله وأصدقائه، ولا يعرف مصيره حتى الآن !!

عرفت عمرو النامى يوم كنا فى مرحلة الدراسة الإعدادية والثانوية بمدينة غريان . وجمعت بيننا مرحلة الدراسة الجامعية فى بنغازى، وتوثقت علاقتنا بروابط العقيدة والفكر والوجهة الإسلامية الواحدة . وعشنا محنة السجن معاً فى سنة ١٩٧٣-١٩٧٤ . بتهمة الانتماء إلى حركة الإخوان المسلمين.

وعرفت فيه الذكاء، والإيمان العميق، والشجاعة، وصلابة الموقف . والرجل كان فعلاً يريد الاعتناء بوالديه، وأن يعيش بعيداً عن السياسة ومآسيها . وهو يدرك تماماً الأبعاد الدولية للصراع فى المنطقة . ولكن يبدو أنه لم يفهم من قبل الأجهزة فى ليبيا . ودفع ثمن حسن نواياه، كما دفع نفس الثمن كثيرون آخرون . إن الدكتور عمرو خليفة النامى مثل للإنسان المثقف الجاد، وشديد الإخلاص لوطنه وأمته .

ولو كانت السلطة السياسية تتصرف بمنطق العقل والحكمة والنظر البعيد لما وقفت منه موقف المطاردة والملاحقة والاعتقال . بعد أن أكد أنه لا ينوى الانخراط فى أى حركة معارضة . واختار أن يتفرغ للعلم وللتدريس أولاً، ثم بعد أن حيل بينه وبين ذلك

اختار أن يعيش فى عزلة يرعى شويهاته فى أرض ليبيا الواسعة . ولكن يبدو أن ليبيا صارت ضيقة !!

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

هذه خطرات فى سيرة رجل ارتبط بالفكر والثقافة، وكانت له مواقفه الصارمة التى لا تقبل الاحتواء، وإن قبلت الانزواء فى وديان وشعاب نالوت . كان عمرو النامى كاتباً وناقداً ومحاضراً وشاعراً . وخلال سنوات الاعتقال كتب عشرات القصائد . وألف فى السجن (١٩٧٣-١٩٧٤) كتابه الوحيد (ظاهرة النفاق فى إطار الموازين الإسلامية) وصدرت طبعته الأولى سنة ١٩٧٩ . وسمعت أن طبعة ثانية صدرت للكتاب ذاته فى عُمان . وشاءت الأقدار أن يغيب عن مسرح الحياة الثقافية فى ليبيا قبل أن ينجز أعماله الفكرية، بل شاءت الأقدار أن يغيب عن الأنظار والأسماع منذ سنة ١٩٨٦، إن غياب الدكتور عمرو النامى سجل صفحات مرعبة من حلقات الصراع السياسى الثقافى فى ليبيا الحديثة وكشف عن خطورة هذا النوع من الصراع الذى لم يترك فيه أصحاب السلطة أى هامش للرأى الآخر وللصوت الآخر حتى وإن التزم هذا الآخر بتقاليد الصراع السلمى بل حتى وإن تنسحب من ميدان الصراع راضيا بحياة العزلة فى شعاب نالوت .

---

* مجلة العالم لندن، السبت ٣٠ كانون الثانى (يناير) ١٩٩٣، مع إضافة بعض الفقرات حين إعداد هذا الكتاب .

نظرات فى الأعمال الفكرية والأدبية لعمرو خليفه النامى

يعتبر عمرو خليفة النامى من الشخصيات الفكرية والأدبية الموهوبة والمميزة ويتضح ذلك من كتبه وهى قليلة كما يتضح ذلك من مقالاته وقصائده وهى أيضا قليلة أما محاضراته فى الجامعة الليبية فى بنغازى وطرابلس فآثارها ظلت فى الأوساط الطلابية وزملائه من الأساتذة المعاصرين له فى سنوات عمله بالجامعة وهى قصيرة جدا ولكنها كانت مدوية وذات أبعاد إيجابية.... إن زمن عطائه الفكرى والأدبى كان قصيرا جدا فقد أنهى دراسته الجامعية عام ١٩٧١

وقضى سنتين فى السجن المركزى بطرابلس ١٩٧٣ و١٩٧٤ بتهمة الانتماء إلى تنظيم (الإخوان المسلمون) فى ليبيا ثم سجن عام ١٩٨٢ ومنذ ذلك الوقت توقفت أعماله إلا بعض القصائد التى كتبها فى المعتقلات وعرفت طريقها إلى دنيا الناس ومن المتوقع أن تصدر مقالاته وقصائده فى كتاب خاص بأعماله... إذن فسنوات نشاطه الفكرى والثقافى والأدبى داخل الجامعات وخارجها وداخل ليبيا وخارجها لا تتجاوز عشر سنوات كان خلالها شخصية مثيرة للإعجاب خاصة فى الأوساط الطلابية

وكانت أفكاره ومحاضراته وأسلوبه وشجاعته تشكل علامات فارقة أكسبته جاذبية خاصة وأعطته سمعة خاصة لم يتمتع بها غيره من أساتذة الجامعة فى وقت اشتدت فيه سلطة المراقبة الأمنية واتضحت فيه سياسة الخوف من الأفكار والآراء المخالفة أو التى تصنف أنها مخالفة لآراء وسياسات السلطة الحاكمة... والسلطة الأمنية أحيانا تنطلق من أوهام وشكوك تجعلها تقع فى أخطاء فادحة وتجعل المجتمع يخسر الكثير من الرجال المخلصين.

إن مقالات عمرو النامى وقصائده رغم قلتها تنم عن قدرات غير عادية فهى تجسد طاقات عاطفية ووجدانية وإنسانية هى من خصائص الشعراء والأدباء الكبار. وجاءت بعض قصائده تعبيرا وتصويرا لتجارب عميقة الأغوار ولمعاناة شخصية وخاصة معاناة وتجارب السجون وما لاقاه من متاعب لا قبل لبشر بها ما بالك بأستاذ جامعى وبشاعر مثقف رقيق المشاعر والوجدان... وبعض تلك القصائد عبرت عن مشاعر الأبوة وما تكنه من مودة وحنان إلى فلذات كبده من إناث وذكور بل إن البنات كن أكثر حظا فيما وجدنا من قصائده.

فى مقالاته الأدبية والتى انتقد فيها بعض الشعراء المحدثين وما أقدموا عليه من شعر فإن النامى لا يعتبره شعرا بل هو كلام يمكن أن يوصف بأى وصف إلا وصف الشعر وبذلك تناوله من باب هزلى تهكمى ولو واصل الكتابة النقدية طبقا لمناهج النقد الأدبى العربى كما درسه فى الجامعة وكما قرأ عنه فى كتب النقد

العربى لكان أكبر أستاذ فى النقد الأدبى فى ليبيا لأنه صاحب قلم أدبى تتلمذ على كتب مصطفى صادق ومحمود عباس العقاد وسيد قطب ومحمود شاكر ومحمد محمد حسين كما كان يقرأ لكل الشعراء المحدثين من أمثال نزار قبانى ونازك الملائكة وعبدالوهاب البياتى والسياب والشابى وأحمد رفيق المهدوى... وغيرهم. وقبل كل هؤلاء كان قد درس الشعر الجاهلى وشعر العصور الإسلامية بحكم تخصصه فى دراسة اللغة العربية والأدب العربى فى كلية الآداب بالجامعة الليبية ١٩٥٨ - ١٩٦٢

وكان عمرو النامى يقرأ لكبار الأدباء والشعراء العالميين وما ترجم لهم من كتب سواء منهم من كان روسيا أو أوربيا أو أمريكيا أو هنديا من أمثال تولستوى ودوستوفسكى وشكسبير وهنجواى وطاغور وغيرهم وكان يدعو إلى قراءة كل شىء لمعرفة العالم الذى نعيش فيه.... وأهله هذا النوع من القراءة إلى كسب معرفى متعدد المصادر جعله مدركا لثقافة العصر مع التمسك بأصوله الإسلامية واهتمامه بالأدب العربى.....

أما أعماله الفكرية التى طبعت فأولها كتابه (ظاهرة النفاق فى إطار الموازين الإسلامية) وهذا الكتاب كتبه فى السجن المركزى بطرابلس أثناء اعتقاله مع مئات من المثقفين والطلبة إثر خطاب زوارة الذى ألقاه العقيد معمر القذافى عام ١٩٧٣ وأعلن فيه ما أسماه بالثورة الثقافية. وطبع الكتاب بعد خروجه من السجن بنحو سنتين وصدر عن الدار السلفية بالكويت ولم تذكر

الدار سنة طباعته ويتكون الكتاب من سبعة فصول رتبها كالتالى:

- المشكلة والمنهج.
- أصل الاصطلاح.
- ابتداء ظاهرة النفاق فى المدينة.
- المظاهر العملية لتحركات المنافقين فى المدينة.
- ظاهرة النفاق فى إطار الموازين الإسلامية.
- الملامح العامة لظاهرة النفاق.
- أحكام المنافقين.

وبدأ الكتاب بتمهيد وأنهاه بخاتمة. والكتاب من الحجم المتوسط ويقع فى مائة وست وستين صفحة. ويبدو لى أنه تأثر بما شاهد من كثرة النفاق فى المجتمعات الإسلامية ومنها المجتمع الليبى ورأى من تجاربه الشخصية فى إطار علاقات الناس بعضهم ببعض وفى إطار علاقات الحكام بالناس أو علاقات الناس بالحكام ما يقع فى دائرة النفاق فوضع بحثا موضوعيا يمكن أن يقرأ فى أى زمان وفى أى مكان. وسمعت فيما بعد أن الكتاب صدر فى طبعة ثانية فى عُمان.

أما كتابه الثانى فهو البحث الذى نال به شهادة الدكتوراه من جامعة كمبردج البريطانية وكان عنوانه حسب أول ترجمة

حصلت عليها (دراسات عن الإباضية)، وصاحب الترجمة ميخائيل خورى وراجعه الدكتور ماهر جرار وراجعه وعلق عليه كل من الدكتور محمد صالح ناصر والدكتور مصطفى صالح باجو . أما دار النشر فهى (دار الغرب الإسلامى) بيروت لصاحبها الحبيب اللمسى وهو ناشر تونسى يهتم بنشر كتب التراث . وهذا البحث ربما كان أول بحث علمى حديث يقوم به باحث إباضى ليبى عن مذهبه ويتم إنجازه فى جامعة غربية عريقة هى جامعة كمبردج . وتتبع عمرو النامى تاريخ المذهب من نشأته الأولى فى القرن الهجرى الأول إلى العصر الحديث وتتبع المراحل التى مر بها فقه المذهب على أيدى أئمة وفقهاء الإباضية وانتهى صاحب البحث إلى خلاصة تقول : (خلافا لما يعتقد بوجه عام لم يكن الإباضية فرعا من حركة الخوارج المعتدلة أو غير المعتدلة بل هم – عند النامى – يمثلون الروح النقية الأصيلة لدين الإسلام فى مواجهة التغيرات السياسية والاجتماعية بفعل التوسع السريع للإمبراطورية الإسلامية) وكان كثير من علماء ومشائخ المذهب الإباضى قد ذهبوا إلى أن الإباضية ليسوا من الخوارج ومنهم الشيخ على يحيى معمر فى كتابه (الإباضية فى موكب التاريخ) وفى هذا السياق قال الشيخ الطاهر الزاوى أحد علماء المذهب الملكى فى ليبيا (وهذا المذهب معدود من مذاهب المسلمين التى تعتمد فى أصولها على الكتاب والسنة ويتفق فى كثير من أصوله وفروعه مع مذاهب أهل السنة ويستشهد الشيخ الطاهر بقول ابن حزم : إن

أصحاب عبد الله بن يزيد الإباضى الفزارى الكوفى أقرب إلى أهل السنة من بقية الفرق الأخرى.. من كتابه تاريخ الفتح العربى فى ليبيا).

وقام عمرو النامى بتحقيق كتاب (قناطر الخيرات) للإمام إسماعيل الجيطالى وكتب مقدمة طويلة وصف فيها أحوال الأمة الإسلامية وما تمر به من تشتت وتفرق وضعف ودعا إلى العمل من أجل القوة والمجد الإسلامى انطلاقا من الإخلاص لله سبحانه وتعالى دينا ودنيا وكتب مقدمة أخرى لكتاب الشيخ سليمان داوود بن يوسف (ثورة أبى يزيد) وأشاد فيه بالشيخ سليمان باعتباره باحثا مرموقا في التاريخ الإسلامى ومن الرجال العاملين فى ميدان الإصلاح فى دائرة العمل الإسلامى. وكانت للنامى مراسلات مع كبار علماء المذهب الإباضى المقيمين فى مزاب بالجزائر ومنهم: الإمام أبى اليقظان إبراهيم. والشيخ سليمان داوود بن يوسف وكلاهما من منطقة مزاب بالجزائر والتى تعتبر من معاقل المذهب الإباضى فى شمال أفريقيا كما يبدو أنه راسل كلا من الشيخ بيوض من مزاب أيضا والشيخ على يحيى معمر الأديب والمربى والمؤرخ وهو من نالوت بليبيا ومن أهم كتبه (الإباضية فى موكب التاريخ) ويظهر من المادة الموجودة فى ترجمة بحثه (دراسات عن الإباضية) المشار إليه سابقا أن تلك المراسلات تمت أو تم بعضها أثناء إقامته فى بريطانيا للدراسة وكلها تدور حول اهتماماته كمثقف وكاتب يعطى وقته للفكر ولأهل الفكر ويريد التواصل

مع هؤلاء العلماء الذين يجمع بينهم وبينه فقه المذهب الإباضى بصورة خاصة والفكر الإسلامى والأدب العربى شعرا ونثرا بصورة عامة..... وأختم هذا الفصل بالإشارة إلى المقدمة التى كتبها لكتابى (مواقف فكرية) وهو أول كتاب صدر لى عام ١٩٧١ وكان عمرو النامى قد عاد لتوه من بريطانيا إلى أرض الوطن بعد أن أكمل دراسته العليا الجامعية.. وما سطره فى تلك المقدمة يعتبر جزءا من أعماله لمن أراد أن يبحث ويدرس.... إن شخصية عمرو النامى وأعماله ومواقفه تستحق أن تكون بحثا علميا شاملا ينهض به أحد الدارسين فى الجامعات ليكون إضافة علمية فى سيرة أحد أعلام ليبيا الحديثة.... وما قمت به من عمل ومن استعراض لسيرته ومواقفه ليست إلا سطور وفاء لرجل يستحق كلمة وفاء فى زمن قل فيه الرجال الصدق الشجعان..... ومرة أخرى أقول إن سيرة عمرو النامى وأعماله الفكرية والأدبية ومواقفه الشجاعة تعتبر ملمحا كبيرا من ملامح الصراع السياسى الثقافى فى عهد حكم العقيد معمر القذافى وخياراته السياسية والثقافية ومنها الكتاب الأخضر والنظرية العالمية الثالثة والأشكال الإدارية المتمثلة فى المؤتمرات الأساسية واللجان الشعبية.....

* * *

الشيخ الطاهر الزاوى... ثقافته... جهاده... أعماله... مواقفه

ولد الشيخ الطاهر أحمد الزاوى بالحرشا إحدى قرى الزاوية الغربية وكان ميلاده عام ألف وثمانمائة وتسعين... حفظ القرآن الكريم فى جامع سيدى على بن عبد الحميد بقرية الحرشا على الشيخ محمد بن عمر الصالح ودرس مبادئ الفقه على الشيخ الطاهر عبد الرزاق البشتى وأحمد حسن البشتى والطيب البشتى.... والجدير بالذكر هنا أن أسرة البشتى أسرة علم وأدب وثقافة وهى من العائلات العلمية المعروفة فى الزاوية وفى كل ليبيا وبرز منها المعلم والسياسى والطيب والمترجم..... إذن المرحلة الأولى من مراحل تعليم الشيخ الطاهر كانت بالزاوية. وفى عام ١٩١٢ سافر إلى القاهرة حيث بدأ المرحلة الثانية من رحلته العلمية فالتحق بالأزهر ودرس النحو والتفسير والحديث وغير ذلك من العلوم التى كانت تدرس بالأزهر واستمرت هذه المرحلة مدة سبع سنوات وكان من أساتذته الشيخ أحمد الشريف والشيخ على الجهانى المصراتى والشيخ حسن مدكور وغيرهم..... واستمرت رحلته العلمية هذه سبع سنوات ثم عاد إلى البلاد وبقى بها خمس سنوات ثم عاد مرة أخرى إلى مصر وأكمل دراسته

بالأزهر ونال شهادة العالمية عام ألف وتسعمائة وثمانية وثلاثين يقول الشيخ الطاهر انه عاش بمصر ثلاثة وأربعين عاما مهاجرا ما بين ١٩٢٤ و١٩٦٧ وخلال هجرته عمل بوزارة الأوقاف المصرية وسافر إلى السعودية فى أعوام ١٩٥٥ و١٩٥٦ و١٩٥٧ وعمل مدرسا بالمدينة المنورة ثم عاد إلى مصر وعمل مصححا لكثير من الصحف والمجلات والكتب.... وخلال إقامته بمصر كرس الكثير من وقته للكتابة عن القضية الليبية وعن نضال الشعب الليبى وتاريخه وسنعود فيما بعد إلى أعماله العلمية بشيء من التفصيل....

أما بالنسبة لجهاده فى بداية الاستعمار الإيطالى فقد تجسد فى المشاركة في معركة الهانى والتى وقعت في اليوم السادس والعشرين من أكتوبر عام ١٩١١ وكان عمره إحدى وعشرين سنة وهو عمر القوة والفتوة يقول الشيخ الطاهر (تجمع المجاهدون فى منطقة سوانى بنيادم وما حولها ومنها توجه المجاهدون ليلا إلى الهانى وعند الفجر بدأت المعركة وأبلى المقاتلون الليبيون بلاء عظيما) وذكر أن القرآن الكريم وهتاف الله أكبر والشعر الشعبى كانت المادة التعبوية للمجاهدين خلال المعركة وسجل الشيخ الطاهر تفاصيلها فى كتابه (جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب) وهذه المعركة تعتبر من أهم معارك الدفاع عن مدينة طرابلس... ويذكر الشيخ الطاهر أنه شهد أحداث الحرب فى طرابلس وما حولها من أول الاحتلال إلى قرب صلح أوشى فى

أكتوبر ١٩١٢ كما شهد تطور الصراع ضد الإيطاليين والصراعات الداخلية بعد صلح بنيادم أى منذ ١٩١٩ إلى ١٩٢٤ وخلال هذه الفترة شارك فى كثير من الاجتماعات والاتصالات والمصالحات وكتب عن الكثير من تفاصيلها ومن الاجتماعات المهمة التى حضرها مؤتمر غريان سنة ١٩٢٠والذى انبثقت عنه هيئة الإصلاح المركزية وكانت بمثابة حكومة وطنية للقيام بأعباء إدارة الصراع ضد الإيطاليين وكلف بادوار تفاوضية مبعوثا من هيئة الإصلاح فسافر عام ١٩٢٢ مع وفد إلى إجدابية لنقل رسالة إلى السيد إدريس السنوسى لإبلاغه باستعدادها لمبايعته بالإمارة كما كلف بمهام أخرى أثناء الصراعات المحلية والقبلية لإصلاح ذات البين.... ومن هنا تأتى أهمية ما كتبه الشيخ الطاهر باعتباره معاصرا وشاهدا على تلك الأحداث التاريخية الكبيرة وما تنطوى عليه من خفايا وتقلبات شكلت ولونت تاريخ تلك المرحلة من الجهاد إضافة إلى أنها تعكس للدارس جوانب من الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التى كونت العقلية الليبية فى ذلك الوقت. وقد أعطى الشيخ الطاهر كل وقته الذى عاشه فى مصر أى نحو أربعة عقود للدراسة والكتابة وكان صبورا لا يكل ولا يمل من التعلم والتعليم والبحث والكتابة وكان هذا الشيخ الجليل موسوعيا فى علمه وفيما ألفه من كتب إذ إنه ألف فى اللغة فأعاد ترتيب القاموس المحيط ليكون أكثر يسرا فى البحث وقال إنه وضعه على منهج قاموس مختار الصحاح والمصباح المنير

ولا يستطيع أن يخوض فى هذا المجال أى مجال القواميس اللغوية إلا من ملك ناصية اللغة لفظا ونحوا وغير ذلك من علوم اللغة العربية وأسرارها ومن ملكها ملك بيده مفاتيح العلوم الأخرى لأن اللغة كما تعلمون هى المفتاح لفهم أسرار كثير من العلوم الأخرى وخاصة علوم التفسير والحديث والفقه والمنطق والفلسفة وعلم الكلام... أما المجال العلمى الذى برز فيه الشيخ الطاهر وكان من رجاله الأفذاذ فهو مجال التاريخ حيث أصبحت كتبه من أهم المراجع وخاصة ما كتبه عن جهاد الشعب الليبى خلال النصف الأول من القرن العشرين ومن كتبه في التاريخ:

- تاريخ الفتح العربى فى ليبيا.
- تحقيق كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وكان فيها من الأخبار لابن غلبون.
- معجم بلدان ليبيا.
- أعلام ليبيا.
- ولاة طرابلس الغرب.
- عمر المختار.
- جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب.
- جهاد الليبيين فى ديار الهجرة.

ومجموعها عشرة كتب فيما أعلم وربما تكون له كتب مخطوطة وربما تكون له فتاوى لم تنشر.

أما آخر ما صدر له من كتب حسب علمى فهو كتابه (مجموعة فتاوى) الذى صدر عن دار الفرجانى فى طبعة ثانية عام ١٩٧٦ وتضمن نحو خمسين فتوى تناولت فى أغلبها مسائل اجتماعية واقتصادية وكثير منها دارت حول وضع المرأة وحقوقها.... وهذه قضية تستحق أن تعطى اهتماما كبيرا وجديا فالمرأة فى ليبيا ما تزال حتى هذه اللحظة تعانى من الأمية والتخلف الثقافى الذى يحد من فاعليتها وهو أحد الأسباب فى سلب حقوقها وخاصة الحقوق الاقتصادية الشرعية المتعلقة بالمواريث حيث جرت العادة أن يوقف الآباء أملاكهم على الذكور دون الإناث وفى ذلك مخالفة واضحة لحقوق المرأة وقد عالج الشيخ الطاهر هذه المسألة وأنصف المرأة وأعاد لها حقوقها من حيث إصدار الفتاوى اللازمة ولكن المجتمع والثقافة السائدة وهى ثقافة القبيلة، وجاهلية تلك الثقافة فى بعض جوانبها ما تزال تمنع بطرق كثيرة استقامة العلاقة وتكاملها بين الذكر والأنثى... وعلاج هذه القضية لا يتم إلا بالتعليم السليم وبالارتفاع بالمجتمع ككل من ثقافة وتقاليد القبيلة وجاهليتها إلى ثقافة وتقاليد الإسلام ومجتمعه الحضارى وذلك ما دعا له الشيخ الطاهر فى فتاويه المنشورة. وعلمت أن للشيخ الطاهر مجموعة فتاوى أخرى طبعت ومنعت من التوزيع. ولكننى لم أتأكد حتى صدور هذا الكتاب من صحة ذلك.

ولعله من المفيد أن نتوقف وقفات قصيرة عند ثلاثة من

كتبه التى أرخت لجهاد ومعاناة الليبيين أثناء مرحلة الاستعمار الإيطالى وهى الكتب التى نقرأ فى صفحاتها أيضا جهاد ومواقف وشخصية الشيخ الطاهر ونبدأها بكتابه جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب الذى دار وما زال يدور حوله جدل شديد وانتقادات وتعليقات أدت إلى منعه من دخول ليبيا فى العهد الملكى ثم سمح بنشره وتوزيعه فى البلاد فى العهد الجمهورى يقول المؤرخ الشيخ الطاهر أنه شرع فى تأليف كتابه هذا منذ أن استقر فى مصر عام ١٩٢٥ وصدرت أول طبعة منه عام ١٩٤٤ من ألف نسخة فقط لأسباب مالية..... إن هذا الكتاب يعطى للشيخ الطاهر موقعا خاصا وفريدا لأنه الوحيد الذى كتب عن تفصيل سنوات الأحداث والمعارك الكبرى التى خاضها الأجداد والآباء ضد الإيطاليين كما كتب عن قادة وفرسان تلك السنوات وكتب أيضا عن الخلافات والصراعات المحلية وسجل بقلمه مواضع الضعف كما مواضع القوة فى البنية الاجتماعية وهى فى عمومها بنية قبلية.... ولا يمكن أن يقدم على كتابة مثل هذا الكتاب إلا من أدرك القيمة التاريخية والتوثيقية للأحداث وصناعها وبهذا الحس التاريخى ترك للأجيال مادة غنية بالمعلومات وبالتجارب وبالمثل البطولية التى تكون فى مجموعها الذاكرة التاريخية للشعب الليبى ومهما كانت الخلافات والآراء حول هذا الكتاب فسيظل مرجعا مهما للدارسين والباحثين وسيظل مرآة تعكس أسلوب ومزاج الشيخ الطاهر ذلك المزاج الذى يتعامل مع الوقائع كما

عاصرها وكما شاهدها بكل ما فيها من جميل وقبيح وبكل ما فيها من بطولات ونجاحات وإخفاقات وانكسارات ويصف الشيخ الطاهر كتابه هذا بأنه وثيقة من أصح الوثائق التى كتبت فى الجهاد الطرابلسى لأنه يستند إلى المشاهدة والرواية عن الزعماء الذين تولوا رئاسة حكومات المجاهدين ..... وقد توقع الشيخ الطاهر أن يتساءل بعض الناس قائلين لماذا كتب فقط عن : جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب فقال (إن معلوماتى عن الحرب فى طرابلس أكثر وأصح سندا من معلوماتى عن الحرب فى برقة لأننى شهدت الكثير من الحرب فى طرابلس أما حروب برقة فلم أشهد منها شيئا ...) وفى مقدمة الطبعة الأولى من كتابه هذا يقول : (وقد سلخت فى جمعه من عمرى زهاء عشرين سنة ما سمعت بحادثة إلا قيدتها، ولا وقع نظرى على مسألة إلا نقلتها . وما اجتمعت بعد الهجرة بذى شأن ممن لهم صلة بالحرب وإدارتها إلا رويت عنه وناقشته فيما يتعارض مع رواية غيره . ولا سمعت بحاكم منطقة أو رئيس إدارة إلا أخذت عنه ما وسعنى أخذه . وما رويت عمن يخامرنى فيه شك أو روايته تخالف من هو أوثق منه عندى) هذا هو أسلوب العلماء والباحثين والمؤرخين الذى يجب أن نقبله دون أن نعطل حق النقد لأى عمل تاريخى أو فكرى فنحن من أمة لا تقدس الأشخاص ولا تقدس الكتب البشرية بل تقرأها وتنظر فيها بعقل مفتوح للاعتبار بدروسها وتجاربها .... وهكذا يجب أن يكون موقفنا من كتاب

جهاد الأبطال موقف الباحثين عن العبر والدروس .... والتاريخ هو مخزن العبر والدروس وعمل المؤرخين يقدم لنا مفاتيح تلك المخازن فمن شاء أن يعرف وان يفهم التجارب البشرية وأن يستفيد منها فإن التاريخ هو الوعاء الكبير لحصاد الشعوب ومن لا يقرأ التاريخ وخاصة تاريخ الأجداد والآباء فلن يستطيع اكتشاف طريقه فى العمل العام ولن يستطيع إدراك المزاج العام للشعب الذى ينتمى إليه.

أما الكتاب الثانى الذى نريد أن نتوقف عنده وهو من الكتب النادرة حيث لا وجود له فى المكتبات وهو كتاب عمر المختار والذى فجر الخلاف بين المؤلف وبين السيد إدريس منذ وقت مبكر أى منذ ١٩٣٣ (١٣٥٣) يقول الشيخ الطاهر نظرا لنفوذ السياسة الإيطالية فى مصر فى ذلك الوقت وقعته باسم مستعار هو (أحمد محمود .... وعندما اطلع عليه إدريس السنوسى رفع علىَّ وعلى صاحب المطبعة السيد عبدالعزيز الحلبى دعوى فى النيابة .... واعترف الشيخ الطاهر أمام النيابة بانه مؤلف الكتاب وبوساطة من صاحب المطبعة الحلبى رفضت الدعوة ..... وقد أثنى الشيخ الطاهر فى كتابه هذا على الشيخ عمر المختار الذى ظل متمسكا بالجهاد والمقاومة رغم أن القيادات السياسية كانت تميل إلى المهادنة وإلى المفاوضات مع الإيطاليين، ولعل صلابة عمر المختار وثباته على طريق العمل المسلح إلى نهاية الطريق وحتى الاستشهاد هو الذي جعل تاريخ وسيرة عمر المختار على رأس قائمة

كبار المجاهدين . وهو أول كتاب كتبه الشيخ الطاهر فى موضوع الجهاد والمجاهدين فى ليبيا وتحدث فيه بصورة خاصة عن الجهاد فى برقة من مرحلة أحمد الشريف إلى استشهاد عمر المختار وأورد فيه تفاصيل كثيرة عن المعارك وأبطالها، وبذلك أكد اهتمامه بالجهاد والمجاهدين عبر تراب كل الوطن .... وظل هذا الكتاب أيضا موضع نقد وجدل وأحدث ردود أفعال سياسية وتاريخية وخاصة فى أوساط الأسرة السنوسية ومن لهم علاقات وطيدة بها .

الكتاب الثالث الذى يشدنا أكثر فهو كتابه (جهاد الليبيين فى ديار الهجرة) وخاصة ونحن فى ديار الهجرة والاغتراب، والذى دون فيه تجربة غنية ومليئة بالعمل السياسى والاقتصادى والصحفى والعلمى استمرت نحو أربعين عاما ... وفى هذا الكتاب يحدثنا الشيخ الطاهر عن كفاح المهاجرين وخاصة الذين هاجروا إلى مصر وكانت لهم أعمالهم التى تدل على النشاط والحيوية وتدل على الارتباط الوثيق بالوطن كما تدل على روح الأمل والتفاؤل بيوم النصر والعودة .

ونلاحظ من سيرة المهاجرين إلى مصر أنهم فور وصولهم بدأوا أولا بالحياة الاقتصادية فاشتغلوا بالتجارة والزراعة واتجه أغلبهم نحو التجارة ونجحوا فى هذا الميدان نجاحا كبيرا حتى أصبحت حركة التجارة بين الإسكندرية والسلوم ملك أيديهم وقاموا بتعمير الصحراء الغربية فأنشؤوا المتاجر والبيوت السكنية والمزارع وشيدوا المساجد ... وبعد استقرارهم فى مصر اتجهوا نحو

الأخذ بأسباب الثقافة والعلم فوجهوا أولادهم إلى الأزهر وإلى المدارس والمعاهد العلمية الأخرى وفى الوقت ذاته كانوا يتابعون التطورات الداخلية وما يجرى فى البلاد جراء الاستعمار الإيطالى فكانوا يكتبون فى الصحف المصرية ويصدرون المنشورات والمذكرات ... وازداد ظهور النشاط السياسى بعد الحرب العالمية الثانية التى هزمت فيها إيطاليا فاحتفل المهاجرون بتلك الهزيمة وكان احتفالهم فى فبراير عام ١٩٤٣ وشارك فى الاحتفال عدد كبير من الشخصيات الوطنية وحضر الاحتفال السيد إدريس السنوسى الذى ظل الرمز القيادى السياسى لحركة الكفاح فى الداخل والخارج بفضل انتمائه للحركة السنوسية وللأسرة السنوسية ومالها من رصيد دينى وتعليمى واجتماعى واقتصادى، واعتبر الليبيون أنفسهم شركاء فى الانتصار الذى حققه الحلفاء لأنهم شاركوا بقوات ليبية تحت راية الجيش السنوسى الذى تأسس عام ١٩٤٠ فى مصر ومن أبرز الأسماء التى يذكرها الشيخ الطاهر والتى شاركت فى صنع الأحداث وتاريخها فى تلك المرحلة السيد إدريس. أحمد السويحلى الطاهر المريض . عون سوف. صالح الأطيوش . عبد الحمية العبار . بشير السعداوى . أبو القاسم البارونى وغيرهم ، وبقى السيد إدريس هو المحور الذى تدور حوله الأحداث والاتصالات والمشاورات – رغم الخلافات القائمة معه ـ حول سبل توحيد العمل السياسى وتوحيد الأهداف الوطنية ويتضح من مواقف الشيخ الطاهر الزاوى أنه كان معارضا بصلابة

لكثير من سياسات وآراء كل من السيد إدريس والسيد بشير السعداوى .

وخلال سنوات الهجرة شارك فى تأسيس اللجنة الطرابلسية برئاسة أحمد السويحلى عام ١٩٤٣ ومن مبادئها :

١- اعتبار القطر الليبى وحدة لا تتجزأ من حدود مصر إلى حدود تونس ومن البحر الأبيض إلى حدود السودان .

٢- العمل على المطالبة باستقلال البلاد استقلالا تاما .

٣- العمل على مناهضة الاستعمار ومخططاته .

٤- الدعوة إلى جعل السياسة الليبية جزءا من سياسة الجامعة العربية .....

وهذه المبادئ والإصرار عليها إضافة إلى آراء أخرى جعلته فى خلاف مع الأمير إدريس استمر طويلا .

وانتهت به هذه المواقف إلى استمرار هجرته حتى بعد أن تحقق الاستقلال ولم يعد إلى البلاد إلا فى زيارات معدودة بإقامة محددة وكانت تلك الزيارات فى عام ١٩٥٠ فى عهد الإدارة البريطانية ثم فى عام ١٩٦٤ والثالثة فى عام ١٩٦٧ ثم استقر فى الوطن بصورة دائمة منذ عام ١٩٦٩ . وعين فى بداية العهد الجمهورى مفتيا للبلاد .

إن مواقف الشيخ الطاهر وصلابته فى الدفاع عن قناعاته جعلته بحق شيخ المعارضين على مدى نحو ثمانين عاما من عمره

فقد عارض بقلمه الأتراك وممارساتهم وعارض وجاهد بسلاحه وقلمه المستعمر الإيطالى وعارض سياسات السيد إدريس السنوسى أميرا وملكا كما عارض الزعيم السياسى بشير السعداوى فى بعض مواقفه وانتقد العديد من قيادات مرحلة الجهاد فى غرب البلاد وفى شرقها وفى جنوبها ... وعارض مواقف وتفسيرات العقيد معمر القذافي للقرآن والسنة وعارض عددا من القرارات التى رأى أنها تخالف الشريعة الإسلامية وكان كل ذلك من موقعه فى دار الإفتاء .. وهى موثقة فى فتاويه المنشورة .... وبسبب مواقفه تلك اتسعت دائرة الخلاف بينه وبين القيادة السياسية فى البلاد فترك الإفتاء فى يونيو عام ١٩٨٣ ولزم بيته وهو فى سن متقدمة من عمره ... وفى كل كتبه ومواقفه كان له رأيه واجتهاده النابع من قناعة صادقة ومن ضمير إنسانى يحب وطنه وأهله متدرعا بعلم دينى وبثقافة تاريخية واسعة وظل منافحا عن آرائه وصامدا وعنيدا فى وجه كل العواصف حتى وفاته فى اليوم الخامس من مارس ١٩٨٦ . وقد دفن بمسقط رأسه بالزاوية وأبّنه الأستاذ الأديب على مصطفى المصراتى بخطبة تليق بجهاده ومواقفه وعلمه كما أبّنه الأستاذ المحامى والصحفى على الديب ... أما وسائل الإعلام الليبية الرسمية فقد تجاهلت وفاته ولم تذكر أى شىء عنه، ولم يزده ذلك التجاهل إلا تقديرا واحتراما عند الشعب الليبى وعند كل من يقدر العلم والعلماء .

رحم الله شيخنا الكبير الطاهر الزاوى الذى جسد القدوة الحسنة فى الصبر على البحث والتأليف وجسد القدوة الحسنة فى الثبات على المبدأ والصمود فى ميادين الصراع الثقافية والسياسية – وهو أقرب إلى ميادين التاريخ والأدب والفقه – فترك ثروة علمية وترك مواقف ناصعة لعلنا نهتدى بقبسات منها . ونحن فى حاجة إلى دراسة سيرة وتاريخ هذا الطراز من الرجال الأفذاذ فهم ملح التاريخ وهم الفرسان الذين رابطوا على ثغور الأمة فقاتلوا بالسلاح وخاضوا معارك الصراع الثقافى والسياسى بروح وأخلاق عالية، وكان لصراعهم قيمة كبيرة وإيجابية، ورفعوا راية العلم وظلوا أوفياء لعقيدتهم ولوطنهم حتى رحلوا من هذه الدنيا وبقيت أعمالهم وسيرهم تعطر المجالس والمحافل .

رحم الله الشيخ الطاهر رحمة واسعة .

* * *

* ألقيت هذه المحاضرة يوم ٣٠/٦/٢٠٠٢ بلندن . كما ألقيت المحاضرة ذاتها بمسجد دزبرى بمدينة مانشستر يوم ١٧/٨/٢٠٠٢ .

الوطنية فى الشعر الليبى الحديث

إلى بداية القرن العشرين كانت ليبيا ما تزال إحدى الولايات العثمانية وكانت الثقافة العربية لا تزال هى الثقافة السائدة فى البلاد رغم دخول اللغة التركية كعنصر ثقافى جديد يزاحم اللغة العربية حتى إن صحيفة (طرابلس الغرب) التى كانت أول صحيفة حكومية والتى تأسست عام ١٨٦٦ كانت تصدر باللغتين العربية والتركية حتى آخر العهد العثمانى الثانى وبذلك كانت الثقافة التركية تتسرب إلى البناء الثقافى والاجتماعى من خلال الدوائر الرسمية والمدارس والصحف والاتصال الاجتماعى والثقافى حيث أصبحت طرابلس وبرقة وفزان تابعة لدولة الخلافة العثمانية منذ ١٥٥١ وحتى بداية الاحتلال الإيطالى ١٩١١ وظلت اللغة العربية هى لغة الأدب والشعر والثقافة العامة . ومن الظواهر اللافتة أن أكبر شعراء ليبيا ولدوا فى أواخر القرن التاسع عشر وعاصروا نهاية العهد العثمانى وبداية الاستعمار الإيطالى فى أوائل القرن العشرين وكانت تلك الفترة من تاريخ البلاد من أصعب الفترات ومن أشدها تخلفا وفقرا وأمية، ومع كل ذلك لمعت وبرزت أسماء شعراء الوطن والوطنية من أمثال :

- سليمان البارونى ١٨٧٠-١٩٤٠ .
- أحمد الشارف ١٨٧٢-١٩٥٩ .
- أحمد الفقيه حسن ١٨٩٤-؟
- أحمد رفيق المهدوى ١٨٩٨-١٩٦١ .
- أحمد قنابة ١٨٩٨-١٩٧٨ .
- إبراهيم الأسطى عمر ١٩٠٧-١٩٥٠ .

هؤلاء هم بعض رواد الشعر من جيل النصف الأول من القرن العشرين وتدل أشعارهم وثقافتهم العربية على مواهبهم وعلى الجهود العلمية التى بذلوها ليصلوا إلى ما وصلوا إليه من إبداع شعرى جميل يرقى بهم إلى مصاف الشعراء الكبار فقد كانوا على صلة وقراءة جادة ومتعمقة فى الشعر العربى القديم عبر عصوره الجاهلية والإسلامية والحديثة وكانوا يتابعون ما يصدر وما ينشر لكبار شعراء العربية فى العصر الحديث من أمثال أحمد شوقى وحافظ إبراهيم ومعروف الرصافى والزهاوى وغيرهم . ويؤكد نبوغهم على الرغبة والإرادة القوية المتطلعة نحو آفاق النهوض والتقدم . ولعل الإحساس بالتحدى لما حولهم من خطر يهدد كيانهم وثقافتهم هو أحد العوامل الرئيسة فى شيوع روح التجديد والتوثب لكسب المزيد والمزيد من المعارف اللغوية والأدبية ، فذلك الجيل المجاهد الصبور كان يحمل فى داخله الهمة والإرادة والطموح .. ويحمل عقلا صافيا نقيا لم تلوثه ولم تشوشه العقائد والمذاهب الفكرية والأدبية التى انتشرت فيما بعد

وظلت اللغة العربية والعقيدة الإسلامية عنده أساسا لبناء المجتمع الليبى وبدونهما يذوب ويتلاشى ذلك المجتمع أمام الهجمة الاستعمارية الإيطالية التى جيشت الاقتصاد (بنك روما) والآلة العسكرية (جنود الاحتلال) والثقافة الأجنبية (اللغة الإيطالية) فهب ذلك الجيل من الشعراء ليصد تلك الهجمة وليرابط على ثغور اللغة والدين متكئا على تراث أدبى ودينى عظيم . وخط شعراء الوطن الكبار بمداد من ذهب وبحرارة من إيمان عميق وبعاطفة جياشة شعرهم الوطنى ليبقى رصيدا وزادا تنهل منه الأجيال الجديدة، وتبنى على ذلك الأساس وتضيف إلى ذلك الرصيد مكاسب جديدة وبذلك يستمر تاريخ الإنسان فى هذا الوطن الذى كان وما يزال يلهم أهله الشعر والنخوة والاستعداد للتضحية من أجل أن تبقى القيم الإنسانية الكبيرة هى أهم مادة للشعر والشعراء وهى أهم ما يستحق أن يناضل فى سبيلها المناضلون . وما الشعر فى ظروف الكفاح إلا شعاع الكلمة ينساب فى حلكة الليل لينير الطريق ويعبأ القلوب لتزداد إيمانا بحقها فى الحياة العزيزة الكريمة . . . وشمل شعر ذلك الجيل مختلف أغراض الشعر المعروفة فى دواوين العرب، إلا أن شعر الوطنية يعتبر من الموضوعات الجديدة فى الشعر العربى الحديث حيث خاضت الشعوب العربية معارك طاحنة ضد الاستعمار الأوربى لانتزاع حريتها واستقلالها ووظف الشعراء مواهبهم وقدراتهم فى تلك المعارك دفاعا عن الوطن وأهله وثقافته وأرضه وشجره وكل ما فيه

وما عليه وتغنى هؤلاء الشعراء بالحرية وبالبطولات التى سجلت أروع صفحات العطاء والفداء والتضحية فى سبيل الدفاع عن الوطن ومعتقدات ولغة وثقافة أهله .... وفى هذه المقالة سنتوقف عند مقتطفات من شعر الوطنية عند هؤلاء الشعراء الذين عبروا عن حب الوطن ليس من مدخل الوصف البارد السطحى ولكن من خلال التجربة والمعاناة فجاءت أشعارهم سلسة وعميقة ..... وسجلت تلك الأشعار جوانب مهمة من الصراع السياسى والثقافى منذ بداية القرن الماضى وحتى الآن . ويظل الشعر والأدب بصورة عامة هو المرآة النقية التى تعكس بدقة ووضوح ملامح ذلك الصراع فى مختلف زواياه ...

ومن قصائد أحمد الشارف فى الوطنية قصيدته المشهورة ومطلعها :

رضينا بحتف النفوس رضينا
ولم نرض أن يعرف الضيم فينا
ولم نرض بالعيش إلا عزيزا
ولا نتق الشر بل يتقينا

وله قصيدة أخرى بعنوان هتاف فى سبيل المجد يتجاوز بها ليبيا الوطن إلى فلسطين :

إن صح أن فلسطينا قد انقسمت
فكل قطر لنا أضحى فلسطينا

وهذه ليبيا لم نرضها وطنا
مالم يكن حكمها يجرى بأيدينا
وكيف نملك أرضا لا نسود بها
وأن نكون لهم فيها مساجينا
تأبى العروبة أن ينتابها خور
وأن نكون من القوم الأذلينا

أما أحمد رفيق المهدوى الذى حاز لقب شاعر الوطن من كثير من الكتاب والنقاد فكانت قصائده تنطق بالحنين والشوق إلى الوطن خاصة بعد أن هاجر من البلاد مرة عام ١٩٢٥ والمرة الأخرى عام ١٩٣٦ تحت ضغوط المستعمر الإيطالى فذهب إلى تركيا ومنها أنشد قصائد كثيرة يجسد كل شطر فيها الحنين إلى تراب الوطن وأهله ومن تلك القصائد قصيدة نونية تماهى فيها مع نونيتى ابن زيدون وأحمد شوقى كما يرى بعض النقاد .... ومنها :

يا من على البعد ويهوانا
لشد ما شفنا شوق فأضنانا
ذكرى عهود الهوى باتت تساورنا
يا من يبلغ للأحباب شكوانا
إنا بحكم الهوى صرنا ولا عجب

نزيد ذكـــرا لمن يزداد نســـيـــانا
مـا أنصـفـتنا الليـالى حـينمـا تركت
جـســمـا هنا وهناك القلب ولهـانا
مـــا خـــيم الليل إلا بات يقلقنا
شـــوق إذا رقـد الســـمـــار ناجـانا
نـحن شـــوقـــا إلى أوطاننا فـــإذا
تبـــسم البـــارق الغـــربى أبكانا

وله قـصـيـدة أخـرى جـمـيله بعنوان (وطنى وحـبـيـبى) مطلعها :

لم أكن يوم خروجى من بلادى بمصيب
عـجبـا لى ولتركى وطنا فيه حبـيبى
وطـنـا فـــــيـــــه أنـاسـى
وبـه مـــــســـــقـط راسـى
لـست مـــا عـــشت بـنـاسـى
لـذة العـــيـش الخـــصـــيـب
بـين أهـل وقـــــــريـب
وصـــديق وحـــبـــيـب

وهـو يعبـر هنا عـن حـالة إنسانيـة يتعـرض لهـا المهاجـر

أو المنفى من بلاده فى لحظات أو ساعات أو أيام معينة يحس فيها بألم الغربة والاغتراب فيسرح بخياله نحو ذكريات الماضى البعيد فيرسم بكلماته صورة جميلة لذلك الماضى الذى افتقده .....

وللشاعر أحمد قنابة طريقة أخرى للتعبير عن الوطنية وحب الوطن تجسده هذه المقتطفات :

أفديك يا وطنى ومثلك يفتدى
بالروح من شر الجهالة والعدا
إن لم أصنك واقتحم فيك الردى
وطنى فلست فتى على نهج الهدى
أى السماء تظلنى
أى التراب يقلنى
أى النفوس تجلنى
إن ضاع تفكيرى سدى
أهوى رباك ولحن طيرك إن شدا
يستنهض الوادى فيشجيه الصدى

وفى لون آخر من ألوان الشعر الوطنى قصيدة رائعة للشاعر المطبوع إبراهيم الأسطى عمر يحشد فيها معانى المقاومة باللسان بالكلمة ضد المستعمر أو ضد المستبد الذى يمنع على أهل الرأى اتخاذ مواقف وطنية وهو ما كانت تمارسه سلطات إيطاليا فتمنع الكتاب والشعراء من نشر قصائدهم الوطنية :

قـيل صـمـتـا قلت لست بميت

إنما الصـمت مـيـزة الجـمـاد

إن مـعنى الحـيـاة قـول وفـعل

وهى رمـز قـدس للجـهـاد

لا أطيق السكوت مـا دام قلبى

خـافـقـا واللسـان يروى مـرادى

إنما البـلبل المغـرد يـشـدو

أينمـا كـان فى الربا فى الوهاد

مـا أظن الأقـفـاص مـهـمـا ادلهـمت

تمـنع الطـيـر لذة الإنـشـاد

إنما الرزق والمعـيـشـة والموت

جـمـيـعـا بأمـر رب العـبـاد

وإلى سليمان البارونى الذى كرس حياته للكفاح العلمى والسياسى ونهل من آداب اللغة العربية ومن ذخائر الفكر الإسلامى وسطر بقلمه الكثير من الأعمال الأدبية والفكرية وكانت قصائده الوطنية تنم عن روح تجيش بالمعانى والقيم الكبيرة التى وجدت فى الشعر العربى أفضل وسيلة لاحتضانها والبوح بها وانتشارها... وفى إحدى قصائده الوطنية رد على أطماع أحد الصحفيين الإيطاليين قبل بداية الغزو :

دع الطمع المذمـــوم لا تغـــتـــر ربما
تراه كـــأحـــلام على فـــرش المهـــد
مـــحـــال مـــحـــال أن تدنس روضـــة
عليـــهـــا لواء حف بالنصـــر والحـــمـــد
نصـــول إذا حـــان الدفـــاع ولا نرى
جـــزاء من المولى ســـوى جنة الخلد
نحب اللقـا لا نبـغض الطعن إن يكن
نضـــالا عن الأوطان والدين والمجـــد
هنيئـا لمن أمـسى صـريعـا مـجـاهدا
لـه حلة بـالأرجـــوان على الجـــرد
فـيـا مـغـرمـا فـينا تقـدم لفـتـيـة
ترى الموت فـوزا فى مـصـادمـة الـضـد
وأمـا سليـمى لا سـبـيل لوصلهـا
ولو تجـعل الجـوزاء منطقـة الغـمـد

وله قصيدة مشهورة تدرس فى المدارس الليبية فى بدايات الاستقلال حفظا وشرحا وتحكى قصة قراره بإطلاق شعر رأسه ولحيته على أن لا يحلقه إلا بعد أن تتحرر ليبيا من الاستعمار الإيطالى وكانت تلك القصيدة بعنوان (نداء مجاهد) ومنها :

هذا هو الشـــعـــر الذى شـهـد الحـروب الهـائلات
وعلـيـــه أمطرت القـنابل كـــالصـــواعق نازلات
خـــاض المواقع لا يهـــاب على الجـيـــاد الصـــافنات
حـــبـــا بتطهـيـــر المواطن من بنى الإيطاليـــــات
آليـت أن يبـــــقى إلى أن يعـــبـــر الجند القناة
لنرى الغـزاة على ضـفـاف النيل تفـتك بالبـغـاة
ونرى طرابلس العـــزيزة فى لـيـــــال باهـرات

وللشاعر أحمد الفقيه حسن قصيدة بعنوان (وطنى)

وطنى بحـبك لا أزال مـتـيـمـا
وأرى العـقـيـدة فـيك والتـوحـيـدا
إنـى امـــــرؤ أرعـى طرابلس التى
عطفت على من القـــديم وليـــدا
بـلـد ولـدت بـــه وأول تـربـة
فـيـهـا لبـست من الشـبـاب جـديدا
أملت على فكرى بدائع حـــسـنه
قـــولا به حـليت منه الجـــديدا
لا غـرو أن نمقت شـعـرى باسـمـه
وغـــدت فـيـــه البلبل الغـــريدا

ونظمت من حـر الكلام قـصـائدا

تبـقى على مـر الزمـان نشـيـدا

أشـدو بذكـر مـحـاسن الوطن الذى

أشـتـاق يومـا أن نراه سـعـيـدا

وحـر أشـواقى ليـوم لم أزل

فـيـه أؤمل أن يكون العـيـدا

يوم ينال الشـعب فـيـه مـرامـه

ويكون سـعى المخلصين حـمـيـدا

من ذلك الجيل الذى عاصر مرحلة الاستعمار الإيطالى ومنهم من حضر شيئا من مرحلة دولة الاستقلال إلى جيل دولة الاستقلال الذى عاصر تطوراتها السياسية والثقافية، وشارك فى الصراع السياسى الثقافى، ومنهم عبد الحميد البكوش رئيس الوزراء فى العهد الملكى (١٩٦٨) ولمدة نحو عام تقريبا وهو أحد رموز وشخصيات المعارضة الليبية فيما بعد ١٩٦٩ ... أصدر السياسى الشاعر عبد الحميد البكوش عددا من الدواوين عندما كان مقيما فى القاهرة، وعندما كانت القاهرة تتسع لحضور ونشاط المعارضين الليبيين ومن تلك الدواوين :

- قصائد من ليبيا ١٩٧٨ - العودة ١٩٨١

- الرحيل ١٩٨٨ - مطر السكر ١٩٩٠

- أمل بلا غروب بدون تاريخ

وفى هذه الدواوين الصغيرة فى حجمها يحتل الوطن وحب الوطن مساحة جميلة غنية بالمعانى والدلالات ومنها قصيدة بعنوان (من سنوات الغربة) .

- أبدا أنا عطشـــــان يا بلدى .

- إلـــــى بـــــلـــــدى .

- وفى كـــبـــدى حنين دائم أبدى .

- إلى الشمس التى انسكبت على الآفاق.

- والهـــامـــات والأحـــداق .

- للشعب الذى من شوقه الأشواق .

- مـلـهـــــــــــوف أنـا .

- حـتى إلى الكلمـات من شـفـة .

- منذ سنين فلم أرها سوى حبر على الأوراق.

- يا صـــــبـــــار يا بلدى.

- وفى ديوانه أمل بلا غـروب قـصـيـدة بعنوان (بلادى) ومنها :

- بلادى أديم لا يجـــــد ويابس.

- وبحـر رمـال لا يشـقـه فـارس.

- محيط براح الأفق رحب يسيرها.

- ومكدودها قاسى الملامح عابس.

- بهـا السـدر ظمآن تجف عـروقـه.

- وينمو على الكثبان شوك ويابس.

- وتلهـو الرياح الحارقات ببونها.

- ويعطش فى الوديان آب ومـارس.

ومن عبد الحميد ابن المدينة إلى عمرو النامى ابن الجبل والذى ذاق مرارة السجون والاغتراب واكتوى بنيرانها فى زمن العواصف الهوجاء التى لا تعرف مكانة ولا قيمة لأهل الفكر والأدب والشعر.... ولعمرو النامى مجموعة من القصائد أغلبها كتبها فى السجون وعبر فيها عن معاناته وعن مواقفه.... ومنها قوله:

إنى لثـــمت تراب أرض حـــرة
إن ديس بالقدم اللئيمة يغضب
أتعز تربتها ويقهر أهلها
هيهات يأبى أن يطال الكوكب

لهـفى على الرايات يخـرقـهـا القنا
يفـدى مـواكـبـهـا بخـيـع يشـخب
يشـفى غليل الحـر حين صـدورها
نفس يجـود بهـا وجـرح يتـعب
لا يصنع الأمـجـاد غـيـر مـلابس
للهـول يصـدع للأمـور ويرأب
أو صـابر للهـول حين حلوله
حـتى تزول خطوبه وتغـيب
والحـر تفـجـأه الحـوادث إن أتت
فـيـخـوض لجـتـهـا ولا يتـهـيب
ويصـد شـرتهـا بأنف مـشـامخ
يسـمـو بصـاحـبـه ولا يتـتـرب
أنا لم أكن يومـا صنيـعـة سـيـد
يرمى إلى بكسـرة فـأرحب
يكفى أباك لكى يعـيش مكرمـا
عـجـفـاء ثاغـيـة وتيس أجـرب

هذه أمثلة قليلة من الشعر الوطنى الليبى الحديث الذى يعكس لونا من ألوان الصراع الثقافى والسياسى عبر القرن العشرين

وعبر أجيال من الليبيين، ويعبر هذا الشعر عن عمق الإحساس بالخصائص الثقافية والانتماء الحضارى للشعب الليبى فالقارئ لهذا الشعر لا يجد تمجيدا للأشخاص والزعامات، ولا يجد نرجسية أو تضخيما للذات ولكنه يجد مادة سلسة تخاطب الفطرة الإنسانية وتخاطب الروح الوطنية والدينية، وتستنهض الهمم للدفاع عن الوطن والإخلاص لقيم الخير والحرية والكرامة مهما كانت المتاعب والتضحيات والابتلاءات.

* * *

الديمقراطية ودولة القانون
الإصلاح الحقيقى

سبق أن نشرت مقالات صحافية كما نشرت أفكارا فى كتابى (بذور الديمقراطية فى ليبيا) عن أهمية الدستور وعن أهمية التحول بليبيا إلى دولة دستورية تضمن العدل والرفاه الاجتماعى للجميع وهو هدف يمكن أن يتوافق عليه كل المخلصين الشرفاء من أبناء وبنات ليبيا فى داخل البلاد وخارجها، والآن أعيد الحديث والكتابة عن تلك المسألة بمناسبة التطورات المتلاحقة منذ ما بعد لكوربى، ولابد من التاكيد هنا أن الكلام عن دولة القانون لن يحدث بين يوم وليلة ولكنه يتطلب عملا متواصلا من كل القوى الوطنية، ويتطلب إرادة وإصرارا على الوصول إليه....

ولا يمكن لأى جماعة، أو جماعات أو أحزاب، أو نخب أن تتعاون وتوحد جهودها إلا إذا اتفقت على هدف أساسى، وإلا إذا كان ذلك الهدف واضحا وضوح الشمس.وكلما كان الهدف يخدم مصالح أغلبية الشعب، كلما كان أكثر حظا من الإجماع والاتفاق على الهدف الأساسى، لا يعنى الاتفاق على التفاصيل، ولا يعنى الاتفاق على الوسائل، إذ من طبيعة الفكر وطبيعة البشر

أن يتفقوا على الأشياء الكبرى أى الأهداف عندما تكون واضحة، لكنه من الصعب الاتفاق على كل الوسائل للوصول إلى ذلك الهدف الكبير....

هناك من يختار وسيلة التنظيم الحزبى، وهناك من يختار الصحيفة والكتاب والإذاعة وغيرها من وسائل الإعلام، وهناك من يختار النقابات والاتحادات، وهناك من يختار جماعات الضغط، وهناك وهناك الكثير من الوسائل للعمل من أجل بلوغ ذلك الهدف المشترك.

هل يمكن أن نتساءل ماذا يريد الليبيون بعد أكثر من سبعة وثلاثين عاما من المعاناة والظلم والتخلف والفساد المالى والإدارى؟

إن الشعب الليبى الذى اكتوى بنار الفوضى والفساد بسبب غياب دولة الدستور والقوانين والممارسة الديمقراطية وجد الإجابة الصحيحة عن مطالبه المشروعة والواضحة لدى المطالبين بدولة القانون.

إنه يريد دولة دستورية ديمقراطية حقيقية.

إن دولة القانون تعتبر من أعظم إنجازات الفكر الإنسانى الحديث، حيث يتساوى المواطنون فى الحقوق والواجبات، وحيث يتمتع كل مواطن بهذه الحقوق دون منة أو عطاء من أحد، ونجد لهذه القيم جذورا عميقة، ومبادئ عامة فى القرآن الكريم، وفى مرحلة الخلافة العادلة، ولكنها فترات تاريخية قصيرة جدا

ولم تتحول إلى تجربة سياسية عميقة التاثير فى الحياة الاجتماعية. لكن دولة المؤسسات الحديثة فى الغرب الديمقراطى، نظمت شئون السياسة والاقتصاد والخدمات الاجتماعية بأساليب فائقة التطور، وجعلت الدولة أكثر عدلا واستقرارا ونهوضا ورفاهية. وعندى أن أعظم إنجاز لدولة القانون، هو مبدأ التداول السلمى على السلطة، وهو تداول فى أغلب النظم لا يسمح للرئيس أن يستمر أكثر من ولايتين وغالبا لا تتجاوز مدتهما اثنى عشر عاما، وإذا سمح بأكثر من ذلك، لزعماء الأحزاب فى بعض النظم الملكية، فإن الشعب بوعيه وحسه وحقه الانتخابى – لا يسمح عادة – باستمرار ذلك الزعيم لأكثر من ثلاث دورات، لأن استمراره يوحى بظاهرة لا تنسجم مع الخيار الديمقراطى.. والإنجاز الآخر لدولة القانون هو الفصل بين السلطات بمؤسسات يقودها خبراء مؤهلون لإدارتها بشفافية عالية. وإذا وقعت أخطاء أو تجاوزات فإن أصحابها لا يفلتون من العقاب.

وكل المعاناة التى يعيشها الشعب الليبى، وغيره من الشعوب العربية، سببها الرئيس غياب دولة القانون، وهو غياب طال أمده. وهذه المعاناة سوف تظل قائمة ومدمرة ما لم نكافح جميعا من أجل هذا الهدف: (دولة القانون). والناس فى داخل الوطن أشد حاجة إلى الانتقال من الفوضى، ومن المحسوبية، ومن دولة الشوكة والغلبة والانقلاب، إلى الدولة التى تحمى الجميع، وتخدم مؤسساتها الجميع.

أليس هذا الهدف جدير بأن تتجمع من أجله كل القوى الاجتماعية فى داخل الوطن وخارجه؟

وأن تنشط كل الأقلام والمنتديات من أجل خلق وعى عام بشأنه؟

إن العمل من أجل تحقيق ذلك الهدف، هو الضمان الفعلى لأن يعيش المواطن الليبى إنسانا كريما حرا عزيزا فى وطنه، وهو الضمان لتحقيق العدل الاجتماعى بين أفراد الشعب. وهو الضمان لازدهار الأفكار والآراء، وللدخول بكل المجتمع نحو مرحلة النهوض والارتقاء. إنه هدف كبير، ويستحق أن نجتهد جميعا من أجل إثرائه بالحوار والأفكار، وألا نتوقف أو نتردد فى حشد كل القدرات والإمكانات سعيا نحو الوصول إليه أو الاقتراب منه.

نحن الذين نعيش فى دول القانون، وفى المجتمعات الديمقراطية، ونتمتع بحقوق إنسانية لم تعرفها بلداننا بعد، أول من يجب أن يجعل هذا الهدف، ليس أمنية يتمناها لبلاده وموطنه الأول فقط، بل عليه أن يسخر كل طاقاته من أجل التوعية أولا، ثم من أجل توحيد الجهود للسير حثيثا باتجاهه...

وعندما نتحدث عن دولة القانون التى عرفناها فى الغرب الديمقراطى، لا ندعوا إلى نسخ هذه التجارب طبق الأصل، ولا نتبنى نقل كل ما فيها، إنما يهمنا الأسس والمبادئ العامة، ومنها ضرورة وضع دستور، ومن هذا الدستور تنبثق

القوانين المنظمة لكل مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية. فى دولة القانون لا يعتقل أى مواطن إلا إذا انتهك القانون، ولا يجوز لأحد أن يستأثر بأى قدر من المال إلا بجهده وعرقه وطبقا للقانون ونظم العمل والنشاط الاقتصادى المعمول به تحت رعاية مؤسسات متخصصة. فى دولة القانون لا يجوز لرئيس الدولة ولا لرئيس الحكومة أن يستلم أى مبلغ من المال لا من خزينة الدولة ولا حتى الهدايا إلا فى حدود القانون، ولا يجوز لأى من أفراد عائلته انتهاك القانون لأى سبب من الأسباب.... تلك هى دولة العدل التى تحترم المواطنين وتتعامل معهم وتخدمهم بتفويض حقيقى أصيل عن طريق الاختيار الحر، عن طريق صناديق الاقتراع أما غير ذلك فهو العبث، وهو الاستبداد والظلم الذى لا ينطلى على الشعوب، ولا تقبله الشعوب، وإن خضعت له تحت عوامل خارجة عن إرادتها وخيارها فإن ذلك لن يدوم، ولابد للأجيال الجديدة الواعية بحقوقها وفى عصر تدفق المعلومات أن تستعيد عافيتها وحقوقها (وتلك الأيام نداولها بين الناس) إنه قانون كونى إلهى لابد أن يتحقق فى لحظة ما من لحظات تاريخ شعب من الشعوب قرر أن يصل إلى ذلك الهدف عبر كل وسائل النضال المشروعة وطنيا ودوليا.

وفى بلادنا ليبيا لقد اختفت دولة القانون، وحلت محلها سلطة ليس لها أية شرعية دستورية، ولذلك تعاظم شرها واتسع فسادها ليشمل كل حقوق الإنسان الليبى، وفى هذه المرحلة من

التحولات الدولية والإقليمية يجب أن تتضافر جهود قوى المجتمع من أجل إنضاج خطاب سياسى يتناسب مع تصاعد قوى المد الديمقراطى الذى بدأ يتفاعل ويصرخ فى وجه الحكام المستبدين... إنها مرحلة واعدة بانتصار قوى الحرية والديمقراطية والعدل إذا عرفت هذه القوى كيف توظف معطيات هذه المرحلة، وإذا استطاعت أن توحد صفوفها وأهدافها وخطابها السياسى.

وجميع هذه القضايا تتطلب عملا وصبرا ووعيا. إن معالم الطريق نحو حلم دولة القانون وشروط الإصلاح الحقيقى الذى يرفض كل المسكنات وكل المحاولات المغشوشة للالتفاف حول تلك الأهداف وتمييعها هو حلم كبير.... وأن أى خطاب يدعى الإصلاح ثم يتساهل أو يتهاون فى الانتقال بليبيا من الفوضى والفساد بكل صوره إلى دولة الدستور والقانون والديمقراطية وصناديق الاقتراع هو خطاب ترقيعى تلفيقى لا قيمة ولا معنى له.

إن العالم يتغير من حول ليبيا وإن جيل الشباب الليبى كان الأكثر تفاعلا وتجاوبا مع الخطاب السياسى الجديد وهو مؤشر له دلالته الثقافية والسياسية ولقد حاولت بعض الأطراف شبه الرسمية أن تتحدث فى مرات عدة وأن ترفع راية الإصلاح والتصحيح بلغة مرتبكة وحائرة ولا تنطلق من أسس واضحة ولذلك كانت نتائج محاولاتها محبطة... وأهم ما تعبر عنه المحاولة أنها تجسد أزمة النظام السياسى فى البلاد، فالنظام وصل

إلى نهايــة النفــق، ولا يريــد أن يعتــرف رجــاله علنا بالأزمة، ولا يريدون الإصلاح الحقيقى، فالإصلاح الحقيقى يتطلب رؤية سياسية جديدة ويتطلب إرادة سياسية مصممة على التغيير....

إن مرحلة تاريخية واعدة تطل ملامحها عبر تغيرات كونية واسعة ومؤثرة تعكسها شبكات الاتصالات والمعلومات بصورة لم يعرفها العالم قبل عقدين من الزمان والنصر بالتأكيد سيكون حليف جبهة دولة الدستور والديمقراطية فى ليبيا المستقبل.

* * *

الحاكم الديمقراطى..... والحاكم المستبد

الحاكم الديمقراطى يصل إلى السلطة بواسطة صندوق الاقتراع، بعد عمل شاق يقوم به شارحا سياساته وأهدافه، وطالبا من المواطنين انتخابه لكى يخدمهم.

أما الحاكم المستبد فيصل إلى السلطة عن طريق القوة (الدبابة) بعد مغامرة يقوم بها ويفرض نفسه ليحكم شعبه بالقوة.

الحاكم الديمقراطى تستمر رئاسته لمدة محددة، لا يجوز له أن يمدها أو يغيرها ولو كان من أصحاب الأعمال والإنجازات العظيمة أثناء ولايته.

أما الحاكم المستبد فتستمر رئاسته طول حياته، ولا يترك كرسى الحكم إلا بسبب الوفاة فيذهب من قصره إلى القبر، أو بسبب انقلاب، عليه من طرف مستبد آخر.

الحاكم الديمقراطى له مرتب محدد، ومكافآت أخرى محددة، ولا يجوز له أن يمد يده إلى أى مبلغ من خزانة الدولة ولو كان صغيرا، وهناك رقابة إعلامية تحاسبه وتطارده إذا حاول اختلاس أى مبلغ، أو قبول أى رشوة من أى جهة.

أما الحاكم المستبد فيتصرف فى أموال الشعب كأنها أمواله

الخاصة، ويعطى منها لمن يشاء، ويحرم من يشاء، ولا أحد يستطيع أن يراقبه أو يحاسبه.

الحاكم الديمقراطى يتحمل مسئولية أى خطأ أو فساد يحدث أثناء حكمه، وقد يسقط بسبب ذلك الخطأ، ويضطر إلى الاعتراف بما حدث تحت ضغوط سلطة الإعلام والقضاء المستقل.

أما الحاكم المستبد فإنه فوق القانون، بل إنه يعتبر نفسه هو القانون، ولا أحد يستطيع نقده أو محاسبته، والإعلام كله تحت قبضته ويسبح بحمده.

الحاكم الديمقراطى يقول الحقيقة للشعب عن طريق البرلمان، وعن طريق الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى، وهو يكذب أحيانا لكن المؤسسات الإعلامية تحصى عليه الأنفاس، وويله إذا كذب مرة واحدة كذبة واضحة، فإنه سيدفع الثمن غاليا عاجلا أو آجلا.

أما الحاكم المستبد فيتعمد إخفاء الحقائق عن شعبه، ولا يسمح بأن يسأل عما فعل، وهو يكذب ملأ رأتيه، ولا يستحى من الكذب، ولا يمل من تكرار الكذب، وله إعلام غبى يمجد ذلك الكذب، وأحيانا يهذبه، ويشطب بعض ما فحش منه.

الحاكم الديمقراطى يعتمد على فرق من الخبراء والمستشارين فى كل سياساته وخططه وأعماله، ويناقش معهم تفاصيل برامجه

فى شتى المجالات والقطاعات، ويستمع إلى آرائهم ونصائحهم، وبذلك تقل أخطاءه.

أما الحاكم المستبد فيعتبر نفسه فوق مستوى غيره من البشر، وهو ملهم لا يحتاج إلى استشارة أحد، ولا إلى نصيحة أحد. وعندما تقع الأخطاء الفادحة لا يعترف بها، ويحاول أن يضع المسئولية على غيره ولو أدى الأمر إلى محاكمتهم وإلصاق مسئولية الفشل بهم.

الحاكم الديمقراطى يعتمد على وسيلة الإقناع لتأكيد قيادته ولنيل محبة ورضاء الشعب أولا ثم لنيل تاييد أعضاء حزبه ثانيا.

أما الحاكم المستبد فيعتمد وسائل البطش والغدر لفرض قيادته وإشباع شهواته الحيوانية، حتى وإن تسبب ذلك فى قتل آلاف المواطنين.

الحاكم الديمقراطى عندما يفشل فى إدارة أزمة من الأزمات يستقيل ويترك مكانه لغيره، أو يجبر على الاستقالة تحت ضغط الفعل الديمقراطى والآلية الديمقراطية.

أما الحاكم المستبد فعادة لا يعترف بالمسئولية عن الفشل، بل إنه يحاول بغباء مفضوح أن يحول الهزيمة والفشل إلى نصر ونجاح، ومن شدة القمع لا يستطيع شعبه أن يزيحه أو يضغط عليه.

الحاكم الديمقراطية يعمل بجد وفاعلية لكى يحقق أكبر

قدر من الإنجازات فى أقصر مدة ممكنة، ويحاول بكل قواه أن يترك أثرا يسجل فى تاريخ حياته وسيرته، وبذلك يضيف إلى شعبه ووطنه ما يمكنه أن يفاخر به.

أما الحاكم المستبد فهمه الأول والأخير كيف يحافظ على سلطته ومركزه واستمراره فى الحكم، ولا يهمه كثيرا الإنجازات، بل إنه يعتبر بقاءه على رأس الحكم هو من أبرز الإنجازات وقد يفاخر الحكام الآخرين بطول بقائه على كرسى الحكم.

الحاكم الديمقراطى يعود من مكتبه إلى بيته ويتابع شئون أسرته، وبيته معروف لدى العامة كما لدى الخاصة، وكلما كان أكثر التزاما بقيم شعبه، كلما كان أكثر ارتباطا بقيم الأسرة، وأكثر شعورا بالأمن الاجتماعى والسياسى.

أما الحاكم المستبد فلا يعرف الناس له مكانا أو بيتا ثابتا، فهو يتنقل من قصر إلى قصر ومن منزل إلى منزل، ومن خيمة إلى أخرى، وفى حالات الشدة لا ينام الليل وينتقل من جحر إلى جحر، ويظل طول حياته لا يشعر بالأمن لأنه مكروه من شعبه....

فما أتعس هذا المستبد، وما أتعس الشعب الذى يحكمه مستبد.

رحم الله عبد الرحمن الكواكبى، الذى لم يكتب أحد مثله عن الاستبداد والمستبدين طوال القرن العشرين.

يقول الكواكبى: (الاستبداد يتصرف فى أكثر الأميال الطبيعية والأخلاق الحسنة، فيضعفها أو يفسدها أو يمحوها فيجعل الإنسان يكفر بنعم الله، لأنه لم يملكها حق الملك فيحمده عليها حق الحمد، ويجعله حاقدا على قومه لأنهم عون لبلاء الاستبداد عليه، وفاقدا حب وطنه لأنه غير آمن على الاستقرار فيه ويود لو انتقل منه، وضعيف الحب لعائلته لأنه ليس مطمئنا على دوام علاقته معها، ومختل الثقة فى صداقة أحبابه، لأنه يعلم أنهم مثلة لا يملكون التكافؤ، وقد يضطرون لإضرار صديقهم بل وقتله وهم باكون، أسير الاستبداد لا يملك شيئاً ليحرص على حفظه... وهو لا يذوق فى الكون لذة نعيم غير بعض الملذات البهيمية. بناء عليه يكون شديد الحرص على حياته الحيوانية، وإن كانت تعيسة، وكيف لا يحرص عليها وهو لا يعرف غيرها).

* * *

الوعى الثقافى فى مواجهة سراق الأحلام

يقول الشاعر البريطانى (بول كوكسن)

لا تترك أحدا يسرق أحلامك

لا تترك أحدا يشل طموحاتك

لا تترك أحدا يشدك إلى الخلف، ويشعرك بالعجز

واجعل من قلبك، ومن روحك دليلك

وانظر دائما إلى العلياء إلى السماء

وقبله قال الشريف الرضى :

همة كالسماء بعدا وكالريح هبوبا فى كل شرق وغرب

هذه الكلمات وما تزخر به من معانى وقيم إيجابية لا يمكن أن تصدر إلا عن صاحب مخزون ثقافى متراكم التجارب والمعارف، ويشارك مالكه فى دفع الإنسان، وخاصة الشبان والشابات إلى النزوع نحو العلا . والثقافة باعتبارها مخزون المجتمع والأفراد من القيم والمعارف والتجارب تظل هى المحرك الداخلى لعناصر الإبداع فى شتى المجالات . . . وتظل الثقافة الإيجابية هى

الطاقة المولدة لحرارة الدفع، وأجملها وأفضلها ما كان يدفع دائما نحو الخير والعدل والبناء والنظر إلى العلا.

والعلماء والكتاب والصحافيون والأدباء والمثقفون -عادة - هم طليعة من يدرك أبعاد وأسباب تفاصيل حركة الإنسان والمجتمع وما بداخله من تفاعلات ومشكلات وتناقضات، ومنهم من يستشرف آفاق المستقبل وما قد يحمله من تغيرات، ومن خلال ذلك الإدراك الواعى فهم أول من يحاول التعبير بصدق عما يواجه المجتمع من صعوبات ومن أخطار... بعضهم يعالج تلك الصعوبات والمشكلات من خلال استدعاء التاريخ وبطولاته وثراء أحداثه فى مرحلة معينة، وبعضهم يعبر عن ذلك من خلال القصة والرواية والمسرح، وبعضهم يجد فى الشعر وفى المقالة أداته إلى ذلك الميدان....

وهؤلاء الكتاب جميعا ومن مواقع إنتاجهم يستخدمون (الحروف والكلمات) وسيلة للاتصال بالآخر والنفاذ إلى دماغه وإلى كل أجهزة الاستقبال والتلقى فيه وهى أجهزة متنوعة الاستجابة، فيها العقلى والعاطفى الوجدانى، وكل تلك الجهود تصب فى صالح إيجاد وعى ثقافى عام، يؤدى إلى تفاعل إيجابى يعمل من خلاله الجميع لتحقيق أهداف وطنية أو اجتماعية مشتركة.

وهذه المقالة ستدور جل أسطرها حول الإبداع والكتابة، ودور الكلمة فى إطار تصور يتبنى رؤية من أجل جعل مسألة (الوعى الثقافى) مسألة ضرورية لا مسألة ترفيهية، ومن يخوض معركة البناء بدون سلاح الثقافة وبدون تطور فى وعيه لن يفلح فى إضافة أى شيء إيجابى ومفيد للقضايا التى يؤمن بها، بل لن يفلح فى التعامل مع أصغر الموضوعات الاجتماعية التى تدور معه وحوله أينما حل .... وتظل الكلمة هى القوة والحجة التى تنير الطريق أمام الناس ما دامت واضحة الأهداف وصادقة النبع وموضوعية . والكلمة تعنى الخطابة ... الكتابة ... المقالة ... القصيدة ... الكتاب ... التقرير الإخبارى ... التحليل السياسى . ووراء كل ذلك فكر وموقف ونضال وصمود ووعى بما يجرى فى عالم اليوم .

ثقافة الوعى التى نعنيها لا يمكن أن تصدر عن قلب مملوء بالأحقاد والأكاذيب، ولا يمكن أن تنتمى إلى ثقافة التهريج والغوغائية، ولا إلى ثقافة الانتهازية والتزلف ... وهى بالتأكيد ليست رصف الكلمات دون وعى بقيمة الموضوع والزمان والمكان، وهى ليست المعارك اللفظية حول قضايا لا علاقة لها بواقع اليوم . إن ضرورة الوعى الثقافى فى الوقت الحاضر تتطلب الكلمة الهادفة المشرقة المقنعة التى تنساب فى سلاسة إلى العقول والقلوب، وتستقر آثارها لدى المتلقى،ثم يتحول المتلقى إلى جندى جديد فى مدرسة النضال بالكلمات، ورحم الله من عرف قدر نفسه، ومن تأسى بقول الرسول وبلاغته وحكمته (قل خيرا أو اصمت) .

ويظل الشعر أحد مواضع الصدق، ومنبع التجديد فى الحراك الفكرى وفى الارتقاء بالوعى الثقافى . وليس صحيحا أن (أعذب الشعر أكذبه) بل الصحيح أن أعذب وأجمل الشعر ما جاء صادقا ومعبرا عن تجربة إنسانية وعن معاناة شخصية، وما جاء تجسيدا لوعى الشاعر بدوره ورسالته فى مجتمع معين فى لحظة تاريخية معينة :

وفى هذا السياق يقول الشاعر الليبى على رجب المدنى :

يعظم الشعر فى مشاعر صدق وأفانين حكمة ومآثر
لا هجاء ولا تملق نفع أو تباريح من غريزة فاجر
يرتقى الشعر بالتسامى ويهوى بالتعامى عما يزكى المشاعر

الشعر انتماء للوطن والتزام بقضاياه كما يقول نورى المودى :

أنا لا أحب الشعر يصبح لفظة
جوفاء ينطقها الدعى مكررا
إنى أعيذ الشعر إلا ما سما
فوق المآرب فانتمى وتجذرا

هكذا تصبح الحروف والكلمات عند الشاعر الملتزم والكاتب الملتزم أشعة تضيء طريق الخير والتقدم، وتزخر بالقيم المعرفية، وتنمى الوعى والإحساس بالمسئولية نحو ملايين الناس البسطاء الذين لا يعرفون حقوقهم ولا يعرفون كيف يطالبون بتلك الحقوق ولا كيف يناضلون من أجلها فى مجتمعات يكثر

فيها سراق الأحلام، أولئك الذين ينشرون ثقافة اليأس والإحباط، ولا يؤمنون إلا بما صغر من المكاسب اليومية والمصالح الشخصية.... وعملية الوعى الثقافى ليس ضرورة أن تأخذ شكلا واحدا، بل من طبيعتها أن تتم بطرق عديدة وتجارب عديدة، وكل لما يسر له . وكلما اتسعت قاعدة الوعى الاجتماعى والسياسى والقانونى، كلما اتضحت معالم الطريق نحو الأهداف الإنسانية والاجتماعية ومنها الحرية، فالحرية هى الأصل وهى الأساس، وكلما اتسع الإحساس بالحرية والأمان كلما كان الإنسان والمجتمع أكثر فاعلية ونشاطا وحيوية .... تلك هى بعض الأحلام الحقيقية لكثير من الكتاب والمصلحين، وفى الطريق يقف آخرون لسرقة تلك الأحلام فيحاولون تسفيه الطموحات والتطلعات الإيجابية، وهم الذين حذر منهم الشاعر البريطانى بول كوكسن، وأمثالهم كثيرون فى عالمنا العربى إنهم سراق أحلام الشعوب أحلام الخير والتقدم والعدالة الاجتماعية .... ويظل الوعى الثقافى هو القوة القادرة على الدفع نحو التطور الاجتماعى الصحيح .

* * *

المثقفون فى ليبيا
وجاذبية الأدب والتاريخ

غادرت وطنى الأول ليبيا منذ عام ١٩٧٨، ولكن طول الاغتراب لم يوقف تواصلى مع أجمل وأمتع ما يبحث عنه من ربط حياته بالقراءة والكتابة وعالم الثقافة .... فأجمل وأمتع ما يربطنى بذلك الوطن قيم العزة والكرامة والحرية كما قيم الحب والصدق والوفاء، وهى بعض قيم أهلى وأصحابى وأبناء شعب استشهد نصف سكانه فى معارك الحرية والتحرير ضد الاستعمار الإيطالى (أى أكثر من نصف مليون) وهاجرت عشرات الآلاف منهم هروبا من الظلم والبطش وبحثا عن الحرية، ومازال قانون الهجرة ساريا فى البشر، وحيث ما كان الظلم والاستبداد :

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متعزل
لعمرك ما بالأرض ضيق على امرئ
سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل

وثروة تلك القيم نجدها فى واحات الأدب والتاريخ .... فى الأدب شعره ونثره قديمه وحديثه، تنبض كلمات الأدباء بالحياة والصدق، فتعبر عن حالات إيجابية وأخرى سلبية تعبيرا واضحا وشفافا، وتعكس تلك الكلمات حقيقة الواقع الاجتماعى

والاقتصادى ومنهما يدرك القارئ حقيقة الواقع السياسى، عندما تضيق مساحات النقد السياسى فيهرب أصحاب الأفكار والأقلام إلى مساحات وواحات أخرى .... وفى التاريخ ومادته العمق الاجتماعى والثقافى للشعوب، وفى تاريخ وطنى مواقف وسير وبطولات هى العمق الحقيقى الذى قد يعيد الثقة إلى كل من أصابه بعض الوهن، فى سنوات معينة، أو فى ساعات أو لحظات معينة تراكمت فيها أسباب الفشل والتردى والعقم والتشاؤم والإحباط والتبلد .

التاريخ وقراءة التاريخ تذكرك بأن قوانين التغيير والتبديل مستمرة وحتمية، ولا تتوقف عند حاكم معين أو أسرة معينة، أو حالة معينة ....

للدهر إدبار وإقبال ... وكل حال بعدها حال
وصاحب الأيام فى غفلة ... وليس للأيام إغفال
والمرء منسوب إلى فعله ... والناس أخبار وأمثال
يا أيها المطلق آماله ... من دون آمالك آجال
كم أبليت الدنيا وكم جددت ... منا وكم تبلى وتغتال

هذه الأبيات للشاعر (على بن الجهم) وفيها تصوير دقيق وعميق لتقلبات الأيام، وفيها عزاء وعبرة لمن يريد أن يعتبر ....

وفى التواصل مع الأدب والتاريخ يستمر التفاعل والترابط مع الوطن، ومع أدباء ومثقفى الوطن وإبداعاتهم، رغم ضيق مساحات الحرية وشدة المعاناة .... وخلال سنوات الهجرة والاغتراب، حرصت كل الحرص أن أتابع ـ بقدر المستطاع ـ أخبار

الحركة الثقافية فى بلادى . وحاولت أن أحصل على قدر من الكتب والمجلات والصحف التى تتناول تطور تلك الحركة، وما تعانيه من صعوبات، وما تواجهه من رياح باردة، بل من عواصف ثلجية أحيانا .... ولاحظت من خلال تلك المتابعة أن المثقفين فى ليبيا وجدوا فى واحتى الأدب والتاريخ المكان الأفسح والأسلم لاستمرارهم، ولاستمرار جهودهم، وجذبتهم تلك الواحات إلى ظلالها بعيدا عن الشمس الحارقة لساس ويسوس وما تجره من عذابات وويلات ... وقد سعدت بعدد من الكتب التى حصلت عليها، ومنها بعض كتب وأعمال الأديب الكبير خليفة محمد التليسى ... وفى فترات أخرى وصلتنى المجموعات الشعرية للشاعر محمد الشلطامى التى تعكس مرحلة مهمة من إبداعات ومعاناة شاعر، تلغى كلماته غليان الدم فى شرايين إنسان حر، كلماته تحرك السواكن، وتستفز المتبلدين، فما بالك بمن هم على بقية من نبل وشرف وعشاق حرية وعزة وكرامة .... وإضافة إلى عدد من الكتب الليبية الجديدة، أصبح بين يدى مجموعة من المجلات والصحف الليبية، ومنها ملحق خاص بتكريم الأستاذ الأديب خليفة محمد التليسى فى مدينة بنغازى فى ديسمبر ٢٠٠٢ ومنها أيضا مجلة الثقافة العربية ومن كتابها أديبات وأدباء من العراق، ذلك البلد الشقيق المعطاء الممتحن . ويبدو أن الحضور العراقى سيترك أثرا فكريا وأدبيا مميزا فى ليبيا، وسيأتى الزمن الذى تصدر فيه كتب وبحوث عن دور العراقيين الثقافى فى ليبيا فى هذه المرحلة من حضورهم، ونشاطهم التعليمى والثقافى بصورة عامة ....

كـمـا وصلنى العـدد الأول من مـجلة (عـراجين) فى وقت لاحق وهى مجلة فصلية جديدة تحاول أن تبرز جهدا فكريا يعبر عن مرحلة جديدة من نضال المثقف الليبى، ومن السابق لأوانه أن نقيم مستوى ذلك جهد، كـمـا أنه من السابق لأوانه أن نعرف قدرتها على الحياة والاستمرار ....

وعبر الفضائية الليبية البائسة المتخلفة فى سياساتها وفى برامجها، أتابع فى أوقات معينة بعض البرامج الثقافية، حيث أشاهد بعض الوجوه الأدبية من جيلى الذى تكون أثناء العهد الملكى، (أى فى عقدى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى) وبعض الوجوه الأخرى الجديدة، وأغلبها لا تدلك فيما تقول على قدرات فكرية أو إبداعية، ولعلهم ضحايا واقع مثقل بهموم الحياة اليومية ....

ومن المعلوم أن وسائل الإعلام الليبية جميعها لا تقترب من مناقشة وبحث القضايا السياسية خارج الإطار الرسمى، ولا تقترب ولا تجرأ على مناقشة وبحث القضايا الاقتصادية خارج الإطار الرسمي .... أى أن المثقف الليبى داخل الوطن، لا يستطيع أن يعبر بحرية واستقلالية عن رأيه فى الحياة السياسية والاقتصادية، وإذا سمح له أن يشارك فى ندوة أو محاضرة أو كتابة مقالة، فلابد أن يتم ذلك داخل إطار وسور الكتاب الأخضر، أو وثيقة سلطة الشعب، وغيرها من الوثائق الرسمية، التى ينفر منها عادة المثقف والأديب ....

وبسبب غياب حرية التفكير والتعبير، وبسبب غياب الصحافة الحرة المستقلة، أصاب الحركة الفكرية والثقافية والصحفية العقم، وتوقف ذلك النمو الذى بدأ فى ظلال النظام الملكى وتسامحه حتى مع المتمردين والخارجين عن القانون، (أعنى التنظيمات الحزبية السرية) وهو الذى كنا ننتقده رغم مساحات الحرية والأمن والأمان، وقد كانت مساحات واسعة.....

ومن الظواهر الواضحة أن جل الأسماء الفكرية والأدبية والثقافية التى تمثل ليبيا فى المحافل العربية أو الدولية ينتمون أصحابها إلى جيلين : الجيل الأول، وهو الجيل العصامى حقا هو الجيل الذى كون نفسه منذ الحرب العالمية الثانية أو ما بعدها وبرز فى مرحلة الاستقلال ومن هذا الجيل: على مصطفى المصراتى، وخليفة محمد التليسى، وهذان من أكثر المثقفين الليبيين إنتاجا وعطاء فى مجالى الأدب والتاريخ ....

أما الجيل الثانى فهو جيل الاستقلال، أى الذى تعلم وتكون فى مرحلة العهد الملكى أو برز فى مرحلة العهد الملكى ومنهم : أحمد إبراهيم الفقيه، إبراهيم الكونى وهما من كتاب القصة ثم الرواية، وتهتم بهما الصحافة الأدبية العربية، والعالمية أحيانا . ومن ذلك الجيل كثيرون آخرون يعملون فى مجالات تتطلب خبرة مهنية وثقافة رصينة، وجميعهم تعلموا فى بدايات الاستقلال، وتابع بعضهم الدراسات العليا فى الولايات المتحدة وأوربا ومنهم شكرى غانم رئيس الحكومة الليبية الحالية

(اللجنة الشعبية العامة) والذى جيء به فى محاولة لإنقاذ الوضع الاقتصادى بعد أن خربه (الثوريون الجهل)

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

هذا الجيل الذى يعتمد عليه النظام القائم فى ليبيا ـ فى عدد من الأمانات (الوزارات) والمؤسسات ـ هو جيل العشرين سنة الأولى من الاستقلال، ولولا وجودهم ومحاولاتهم تحقيق ما يمكن تحقيقه ـ رغم تحفظات البعض بشأنهم ـ لكانت حال البلاد أكثر سوءا .... إنهم يشكلون قائمة طويلة يتعذر علينا ذكرها فى هذه المقالة القصيرة .

إن مناخ الحريات الفكرية، ومنها حرية الصحافة، وحرية البحث العلمى، وسيادة القانون، واستقلالية القضاء، هى التى تهيأ الأجواء الصحية للإبداع، ولظهور المبدعين فى شتى المجالات.... وخنق الحريات، ومحاسبة المثقفين عن كل فكرة وعن كل كلمة، ووضعهم موضع الاتهام، وهو عملية اغتيال للعقل، وقتل للحياة الثقافية فى البلاد، ولعل الفضائية الليبية، والصحافة الليبية، والجامعات الليبية وما تعانيه هذه المؤسسات جميعا من انحطاط فكرى وتنظيمى، هو أكبر دليل على تدنى السياسات التى تقف وراء هذه المؤسسات ... وهذه السياسة هى المسئولة عن التصحر والجدب الذى نشاهده فى الحياة الثقافية... لا شعراء جدد. لا كتاب روايات جدد. لا خطباء جدد . لا صحافيون لامعون . لا كتاب مقالة متميزون يتسابق القراء على الصحافة من أجل مقالاتاهم . لا ندوات تلفازية

أو إذاعية تشد المشاهدين والمستمعين... وبالتأكيد لا علماء جدد يعمرون مساجد الله بدروسهم وحلقاتهم، فقها وتفسيرا وسيرا، ويعملون على ترسيخ الاعتدال والوسطية فى تكوين الأجيال الجديدة، كما كان يفعل الشيخ عبد الرحمن القلهود، والشيخ محمود المسلاتى، والشيخ محمود صبحى، والشيخ مصطفى التريكى، وغيرهم من المشايخ والعلماء الذين كانوا معروفين فى البلاد من شرقها إلى غربها . إلى متى يظل هذا الوطن تائها حائرا فاقدا الإحساس بالهدف، وفاقدا الوجهة الصحيحة؟... وإلى متى يظل المثقف فى ليبيا معزولا فى واحات صغيرة، ماؤها قليل وظلها قصير وشجرها مهدد بزحف الرمال الحارقة؟.....

كان فى بداية القرن الماضى يقال إذا أردت أن تعرف قيمة الثقافة فى شعب ما فاقرأ صحافته، وسوف تجد فى كل زاوية نبضا وإبداعا يدلك على ما تريد ... أما الآن إذا أردت أن تعرف مستوى وقيمة الثقافة والمثقفين، ومساحات الحرية فكرا وتعبيرا فشاهد فضائية ذلك الشعب، وعلى مرآتها ستقرأ حقيقة وواقع الفكر والثقافة، وواقع الشعب برمته .... والفضائية الليبية هى المرآة العاكسة لجوانب من حقيقة وواقع ليبيا اليوم .

ورغم كل شىء يظل الوطن يشغل تفكيرنا، ونحوه تتجه اهتماماتنا .

يا منزل الصبوات كم لك من يد
عندى سأحفظها وفيا شاكرا
تتقلب الأيام فى أطوارها

خصبا وجدبا لا تمس جواهرا
لكنه الإنسان هم دائم
للعاشقين رسالة ومصائرا
لكنها الأجيال طوق أمانة
في العنق تحلم بالدروب أزاهرا
لكنها الآمال هزت خافقي
هزا وأضرمت العروق مجامرا
فنظمت منها مشاعري وخواطري
ورفعتها طوقا تأرج عاطرا

هذه الأبيات من قصيدة مشهورة للأديب الشاعر خليفة محمد التليسي عنوانها : (وقف عليها الحب) وهي إحدى روائع ديوان التليسي، وفيها يتغنى بحبه لليبيا ويرسم في هذه القصيدة لوحة فنية بلغة شعرية فذة تجسد الوطن ومعارك جهاده، وجمال طبيعته، وسمو عادات وتقاليد أهله . ولأنه أديب وشاعر ويجيد قراءة وفهم التاريخ، ويجيد ترجمة معارك الجهاد وما قاله الإيطاليون المستعمرون عن ذلك الجهاد، جاءت قصيدته أكثر تعبيرا وصدقا عن الماضي، وعن مفاخر ذلك الماضي .

وهكذا وجد المثقفون في ليبيا، بل وفي كثير من البلدان العربية، في الأدب والتاريخ واحات مريحة حلوة الثمار . ولكنها تظل واحات متناثرة في صحراء شاسعة، رمالها متحركة ومخيفة .

* * *

الفهـــرس

الموضـــــــوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	3
مقدمة الطبعة الأولى	7
الفصل الأول: صراع الهوية والتحرير من بومليانه إلى سلوق (١٩١١ - ١٩٢١). كفاح الشعب الليبى سياسيا وعسكريا من أواخر العهد العثمانى إلى إعلان الاستقلال	21
ثورة التحرير الليبية فى الشعر العربى الحديث	23
الفصل الثانى: بناء دولة الاستقلال وملامح الصراع السلمى	40
ليبيا من التبعية والاستعمار إلى دولة الاستقلال	49
الهجرة الليبية من خلال سيرة كاتبها الشيخ الطاهر الزاوى	50
مذكرات مصطفى بن حليم: تحرير لشهادة ميلاد المذكرات السياسية الليبية	66
الفصل الثالث: ليبيا ما بعد ١٩٦٩ ودوامة الصراع	72
الفوضى الضاربة أسقطت معظم ثوابت المجتمع الليبى الثقافية	79
الليبيون منذ عام ١٩٦٩ ... أى نوع من الصراع يخوضون؟	81
فوضى الأفكار وزيف الشعارات ليبيا نموذجا	89
الديمقراطية فى ليبيا ... سراب أم أمل؟	101
رسالة مفتوحة ... من أجل منصور الكيخيا	106
الأنظمة والتنظيمات السياسية الليبية ... ومشكلة العقلية القبلية	109
المجتمع الليبى بين ثقافة القبيلة وثقافة الوطن	112
التيارات الإسلامية فى ليبيا	121
الدكتور عمرو النامى: سيرته ومواقفه	127
نظرات فى الأعمال الفكرية والأدبية لعمرو خليفه النامى	137
الشيخ الطاهر الزاوى .. ثقافته .. جهاده .. أعماله .. مواقفه	148
الوطنية فى الشعر الليبى الحديث	155
الديمقراطية ودولة القانون ... الإصلاح الحقيقى	168
الحاكم الديمقراطى ... والحاكم المستبد	183
الوعى الثقافى فى مواجهة سراق الأحلام	190
المثقفون فى ليبيا وجاذبية الأدب والتاريخ	195
الفهـــرس	200
	208